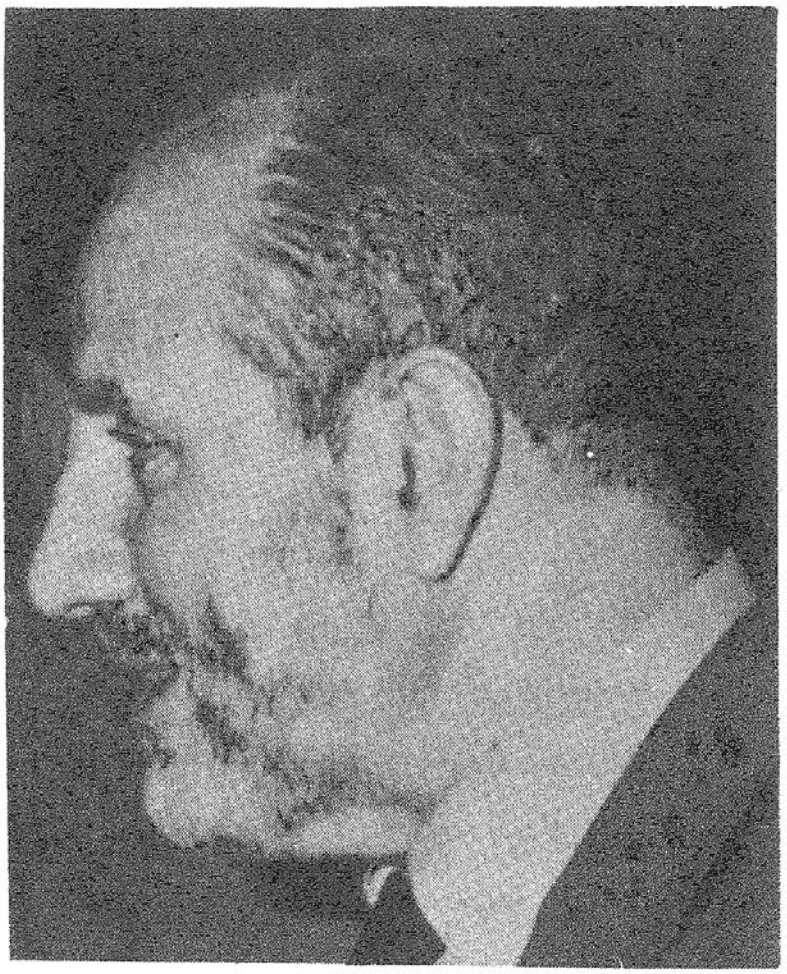

فقيد مجمع اللغة العربية

الدكتور شكري فيصل

١٣٣٦ ـ ١٤٠٥ هـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتور شكري فيصل

وصداقة خمسين عاماً

١٩١٨ - ١٩٨٥ م

بقلم د . عدنان الخطيب

- ١ -

نعي الفقيد

... وأخيراً ، وبعد رحلة طويلة استغرقت سبعة وستين عاما ، سكن القلب الذي كان يخفق دوماً **بحب العروبة والإسلام** ، وسقط القلم من اليد التي ماونيت يوما في حمله طوال نيف وخمسين سنة ، وهو يسيل **دفاعاً عن لغة الضاد** ويدعو إلى تعريب التعليم في أرجاء الوطن العربي ، ويؤرخ للآداب العربية ويحللها ويقارنها بالآداب الأعجمية .

نعم سقط أخيراً زميلنا **الدكتور شكري فيصل** في ساحة النضال شهيداً ، وسقط القلم من يده ، وكان سلاحه الوحيد الذي يدافع به عن العربية وينافح أعداءها ، سواء أكانوا من أبنائها المارقين أم من **الشعوبيين الحاقدين أم من الدققة** الضالّين .

وكانت « **الجامعة الإسلامية** » بالمدينة المنورة قد ربحت جهود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

زميلنا الغالي شكري فيصل مشرفاً على قسم الدراسات الأدبية العليا فيها ومرشداً لطلابها الساعين لنيل درجة « **الدكتوراه** »في الآداب ، وكنا على موعد معه ليقضي إجازة عيد الفطر في دمشق بين محبيه وعارفي فضله من أهل وأصدقاء .

ومضت أيام العيد دون أن يستطيع فقيدنا الوفاء بوعده ، وأرسل يعتذر بأن سوء صحته تضطره إلى **مراجعة طبيب في « ألمانيا »** سبق أن راجعه يوم أُصيب بقصور في عضلته القلبية ، **وكانت إصابته نتيجة الاجهاد المستمر وركوب الطائرات المتواصل** ، ومجدداً وعده بزيارة دمشق في طريق أوبته إلى مقر عمله بالمدينة المنورة .

وطال انتظارنا الزميل شكري فيصل ، إلى أن بلغنا أنه **نُصح بإجراء عملية جراحية ، وأُرشد إلى طبيب مختص في « جنيف »** ، وبينما كنا نبتهل إلى الله جلّ وعلا أن يمنّ عليه بالشفاء ، منتظرين أوبته معافى مما يشكو منه ، جاءنا الناعي يقول : **دخل شكري المستشفى يوم السبت في السابع عشر من ذي القعدة سنة ١٤٠٥ (٣ من آب ١٩٨٥ م)** ، وتمت العملية المطلوبة ، ولكن قلبه الكليل لم يحتمل التخدير فتوقف عن الخفقان وعجز الطب عن اعادة الحركة إليه ، **فكان ذلك اليوم يوم الأجل الموعود** ، حمّ فيه القضاء وانتقل شكري فيصل إلى الرفيق الأعلى ، وخسرت العربية بوفاته مناضلا فذّاً ومفكراً قلّ أن يجود الدهر بمثله .

وكانت أقصى أماني شكري فيصل أن يضم رفاته **ثرى دمشق** مسقط رأسه ، ولكن الله عزّ وجلّ أكرمه فجعل مثواه الأخير في « **البقيع** » مثوى الكرام من شهداء المسلمين وأبطالهم بعد أن نقل جثمانه بتاريخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرابع والعشرين من ذي القعدة ١٤٠٥ م (١٠ من آب ١٩٨٥) **إلى المدينة المنورة وصلى عليه في المسجد النبوي العامر .**

- ٢ -

الصديق الراحل

تربطني بشكري فيصل صداقة **عمرها خمسون سنة أو يزيد** ، وأنا إن أنس لاأنس يوما عرفت فيه اسمه ، لأول مرة في حياتي ، لقد اضطررت ، قبل أن أبدأ دراستي الجامعية ، إلى الدخول في خدمة الحكومة ، موظفاً صغيراً في **ديوان المحاسب المركزي بدمشق**[1] ، فعهد هذا إليّ بتسجيل مايُرفع إليه من عرائض والتماسات ، وذات يوم دخل الديوان فتى نحيل ربعة أميل للقصر ، أسمر اللون لم ينبت شعر عارضيه ، وأخذ يستعرض بنظره الموظفين بالتتابع حتى وقعت عيناه عليّ ، فإذا به يتقدم نحوي على استحياء ، فوقفت للقائه مرحباً به ، طالبا إليه الجلوس إلى جانبي ، فجلس .

لم أكن أعرف من أمر الفتى شيئاً ، بيد أني كنت قد التقيته أكثر من مرة في مجالس علم وأدب ، كانت تذخر بها دمشق وقتئذٍ ، وكنت قد ورثت عن والدي حبّ التردد عليها بين الفينة والفينة ، **وكان الفتى يحضر بعضها** ، فكنت أظنّه ابنا لأحد العلماء أو الأدباء أصحاب المجلس ، وحدث أن مررت به مرة فبادرني بتحية كلها تهذيب ترافقها **ابتسامة تنم عن مودة عميقة** ، مما حملني على الحفاوة به عندما رأيته في ديوان المحاسب المركزي .

---

(١) المحاسب المركزي في الادارة السورية القديمة أكبر موظف مسؤول في وزارة المالية بدمشق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الفتى ، بعد أن شكر لي ترحيبي بـه ، إنـه يود رفع عريضـة إلى المحاسب المركزي وقدمها لي ، فإذا بها مفتتحة بجملة :

« **مقـــدمهـــا شكري بن عمر فيصـــل من مـــواليـــــد دمشـــق سنة ١٩١٨ ..** » .

سألت الفتى عن صاحب العريضة ، فأجابني ، بعـد أن خفض رأسـه وبصوت يكاد لايُسمع : « **أنـا** » فسجلتهـا لـه وأعطيتـه ايصـالا برقمهـا ، وهممت بالخروج معه من الـديوان ، فـإذا بـه يقسم عليّ أن لاأبرح مكاني ففعلت .

من ذلك اليوم ، **وكان من أيام سنة ١٩٣٥ ، بـدأت بيني وبين شكري فيصل صداقـة كانت تمتن يومـا بعـد يوم** ، وتزداد رسوخـا كلمـا التقينـا ، لم تعكر صفوهـا شـائبـة على **اختلاف الجُبْلـة بيننـا ، وعلى تنافر الرأي على كثير من مناهج الحياة** ، فقد كنتُ بطبعي أكره « السيـاسـة » **وكان بطبعـه يحب الموالج إليهـا** ، وكنت بطبعي على شيء من صلابة العود ، حازمـا فيما أملـك ، **وكان بطبيعتـه رَسْلا على كثير من المرونة ، هينا يبدو لمحدِّثه أنـه لايقطع في أمر ..** على أن هـذا الاختلاف بيننـا لم يكن ليفسـد المـودّة التي يضمرهـا أحـدنـا للآخر **مقرونة بالاعجاب والتقدير .**

إن واجب الوفـاء نحو الصـديق الراحل ، يـدعو إلى تـدوين **قصـة كفاحه الطويل مذ كان تلميذاً مجدّا** إلى أن أصبح معلما ناجحاً ، ومن ثمّ أضحى أستاذا مرموقاً ومحاضراً طبقت شهرته آفـاق الوطن العربي ، **إلى أن غدا مجمعياً كبيراً ترنو إليه الأبصار وتهفو نحوه القلوب .**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقصة كفاح شكري فيصل **ستبقى نبراساً يضيء للأجيال العربية القادمة ، بعض الدروب الوعرة** التي وضعهم عليها التخلف ومؤامرات ذوي المطامع وتخاذل بعض من آل إليهم حكم شعوب **غُلبت على أمرها ، بعد أن سُحقت كرامة مواطنيها واستلبت حرياتهم .**

- ٣ -

بداية الكفاح المستمر

عَرَفت دمشق خلال الحرب العالمية الأولى ومابعدها طبقة من « **الفتوات** » تغلغلت في أغلب أحيائها وتولى أفراد منها زعامة الحركات الشعبية في مقاومة الاحتلال الأجنبي .. واشتهر حيّ « **العُقَيبة** » وهو من أقدم أحياء دمشق خارج السور ، برجال من تلك الطبقة كان بينهم شاب أصله من مدينة حمص يدعى « **عمر فيصل** » . وقد خُطبت له إحدى بنات الحيّ فتزوجها وأنجبت له وحيدها الذي حمل اسم « **شكري** » ، وكان أخوها **من علماء دمشق وأفاضل مربييها** يدير مدرسة ابتدائية خاصة اتخذت من بيت « **الشيخ قطنا** » في حيّ المسكية ، لصيق الجامع الأموي من ناحية الغرب ، مقرّا لها .

تفتحت عينا شكري على الطريق الموصل **بين بيت « خاله » ومدرسته « التهذيب الإسلامي »** وكانت من أبرز المدارس الدمشقية الخاصة حتى السنوات التي سبقت قيام « التعليم الإلزامي » وقد سجّل شكري بنفسه هذه المرحلة من حياته قائلا : « **في بيت خالي الشيخ محمود ياسين[٢] كانت نشأتي ، وعلى يديه كانت تربيتي ، وفي**

(٢) محمود بن أحمد ياسين الحمامي : فقيه محدث متأدب ولد بدمشق سنة ١٨٨٧ م ، =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مجاله كان تفتحي ، وفي مكتبته كانت مطالعاتي » .

وانتسب شكري فيصل إلى « **أنموذج البحصة** » المدرسة الابتدائية الحكومية التي حملت بعدئذٍ اسم « مدرسة معاوية الابتدائية » لينال منها **شهادة انهاء التحصيل الابتدائي** فيوفر على نفسه مشقة فحص الدخول إلى المدرسة الثانوية الرسمية .

فلما كانت سنة ١٩٣١ ، كان شكري فيصل في عداد طلاب **مكتب « عنبر »** المدرسة التجهيزية التي حملت بعد سنوات اسم « مدرسة جودت الهاشمي الثانوية » وكان أساتذة المكتب **صفوة رجال العلم والفكر والأدب** .

تتلمذ شكري فيصل على أساتذة مكتب « عنبر » وفي العربية بخاصة على الأستاذين **زين العابدين التونسي وأبي الخير القواس** في السنتين الأوليين من دراسته الثانوية ، وعلى الأستاذين **محمد البزم وسليم الجندي** في السنوات التالية ، وأصغى إلى الأستاذ الموسوعي **عبد القادر المبارك** في دروس الدين .

كان شكري فيصل في مكتب « عنبر » **في عداد الطلبة المتفوقين** ، وكان يتابع ، فوق ذلك ، حلقات العلم الخاصة ولا يترك ساعة فراغ إلا أمضاها في حضور مجلس علم أو بمصاحبة كتاب ، حتى غدا **من المرموقين لدى أساتذته وزملائه** .

= تلقى العلم عن مشاهير علماء عصره ، درّس في بعض مساجد دمشق وثانوياتها وأسس مدرسة ابتدائية كان يديرها بنفسه وساهم في تأسيس عدد من الجمعيات الإسلامية . توفي بدمشق سنة ١٩٤٨ .

انظر ص ١٥١ ج ١١ معجم المؤلفين عمر رضا كحالة دمشق ١٩٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان عليه ، بعيداً عن طلب العلم ، أن يعمل عملاً يخفف عنه عبء مايحتاجه من نفقات يومية ، فلم يجد خيراً من مهنة « **الوراقة** » يساعد أصحابها ، فهي لاتبعده عن الجوّ العلمي الذي ألفه من جهة كما تزيده دنواً من العلماء والأدباء من جهة ثانية ، وإن كانت لاتكسبه إلا القليل القليل .

لقد كانت السنوات التي أمضاها شكري فيصل في « مكتب عنبر » **من السنوات العصيبة في تاريخ سورية السياسي** ، فقد حدثت خلالها اضطرابات خطيرة وقامت حركات طلابية جسيمة تستهدف الضغط على فرنسة لإلغاء انتدابها المفروض على سورية وعقد معاهدة معها تعترف باستقلالها ، وعرفت تلك الحركات ، التي أدت إلى مشروع معاهدة لم تتم ، باسم « **اضراب الخمسين يوماً**[٣] » . وكان من آثار تلك الحركات ايجاد ميول لدى شكري فيصل **بمتابعة الحركات السياسية** على ماسنفنده في نبذة تالية .

تابع شكري فيصل دراسته الثانوية وما كاد يحصل على

(٣) ما انفكت بلاد الشام تنافح الانتداب الذي فُرض عليها في أعقاب معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، التي اطاحت باستقلالها وقد اعلنته إثر جلاء الأتراك عنها سنة ١٩١٨ ، ومازالت تندلع فيها الثورات وتخبو ، وتقوم فيها المظاهرات الحاشدة في كل مناسبة مطالبة بالاستقلال ، حتى كانت ليلة الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٦ إذ ألقت السلطة المنتدبة فيها القبض على رجال الحزب الوطني الذي كان يتزعم الحركة الاستقلالية ، فما كان الصباح إلا واعلنت دمشق الاضراب العام في جميع مرافقها واحيائها وقد استمر اضرابها بعد أن عم سائر البلاد ، خمسين يوماً متواصلة ، ولم تعدل عنه إلا برضوخ السلطة واعلانها عن قبول وفد سوري يفاوض على عقد معاهدة سورية ـ فرنسية . وقد سافر الوفد إلى باريس يوم ٢٥ من آذار سنة ١٩٣٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« **البكالوريا** » بقسميها « **العلمي** » ثم « **الفلسفي** » حتى التحق **بكلية الآداب في جامعة القاهرة** ، وبسبب من الحرب العالمية الناشبة وقتئذٍ ، صَعُب التنقل بين مصر وسورية فكان شكري إذا ماطالت اقامته بدمشق يتولى **تدريس العربية** في المدرسة التجارية الثانوية .

فلما كانت سنة ١٩٤٢ حصل على **إجازة في الآداب بدرجة الامتياز** وكان الأول بين خريجي تلك السنة .

وعاد شكري فيصل إلى دمشق **ليدرِّس العربية في ثانوياتها** غير متوان عن متابعة المحاضرات في كلية الحقوق بدمشق حتى كانت سنة ١٩٤٦ فنال فيها **الإجازة بالحقوق** من الجامعة السورية .

وكانت سورية عقب نيلها الاستقلال عام ١٩٤٦ ، قد اختارت **الأستاذ ساطع الحصري** مشاوَراً فنياً لتعديل برامج التعليم فيها ، **وعينت شكري فيصل** عضوا في اللجنة الرئيسة التي عُهد إليها بمهمة التعديل ، فاعتمد عليه الأستاذ الحصري ليساعده في مهمته ، فكان أن أشرف على صياغة وطبع التقارير التي اشتهرت باسم « **تقارير ساطع الحصري** » .

لم ينقطع شكري فيصل عن التدريس في الثانويات الرسمية والخاصة في تلك المدة ، واستفاد من الاشتراك في لجنة تعديل برامج التعليم ، فقام **بتأليف الكتب وفق المناهج الجديدة** منفرداً أو بالاشتراك مع بعض زملائه ، وكان مما نشر له الكتب التالية :

١ ـ كتاب « **الفنون الأدبية** » المقرر لطلاب السنة الثالثة ، وقد طبع أكثر من مرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ ـ كتاب « **الزاد من الأدب العربي** » المقرر لطلاب شهادة الكفاءة بالاشتراك مع الأستاذين خلدون كناني وأنور العطار ، وقد طبع مرات عديدة .

٣ ـ كتاب « **النصوص الأدبية** » في جزأين مقررين لطلاب السنوات العليا من الدراسة الثانوية بالاشتراك مع الأستاذ خلدون الكناني وقد طبع عدة مرات .

واختارت جامعة دمشق سنة ١٩٤٦ الفقيد شكري فيصل ليكون في عداد هيئة التدريس بكلية الآداب ، بعد أن تقرر توسعة أقسامها ، وتم إيفاده إلى جامعة القاهرة لتحضير « **الدكتوراه في الآداب** » .

التحق فقيدنا بقسم الدراسات العليا ، وكان بالوقت نفسه يقوم بوظيفة **ملحق ثقافي لدى الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية** ، وكان على رأسها يومئذٍ الأستاذ أحمد أمين ، فكان شكري خير مساعد له في وضع الترتيبات التي آلت بالإدارة إلى مادُعي فيما بعد بـ « **المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم** » إذ قامت بانشاء متحف التعليم والسجل الثقافي ، ومشروعات الترجمة ، والمؤتمرات الثقافية .

كما كان الفقيد يساعد الأستاذ ساطع الحصري في جمع المعلومات التي ضمتها مؤلفاته تحت اسم « **حوليات الثقافة العربية** » .

ونال الفقيد سنة ١٩٤٨ درجة « **الماجستير** » في الآداب بدرجة **جيد جداً** . وفي سنة ١٩٤٩ حصل على « دبلوم » **معهد اللهجات العربية** (قسم اللغات الشرقية) . فلما كانت سنة ١٩٥١ نال درجة « **الدكتوراه** » في الآداب بدرجة **جيد جداً** .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأشرف الفقيد في القاهرة على نشر رسائله الجامعية التالية :

١ ـ « **مناهج الدراسة الأدبية ـ عرض ونقد واقتراح**[٤] »مطبعة دار الهنا ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٢ ـ « **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها ومقوماتها وتطورها اللغوي والأدبي**[٥] » مطابع دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٣ ـ « **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ـ دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية**[٦] » دار القلم العربي القاهرة ١٩٥٢ .

ولما عاد الفقيد إلى دمشق يحمل انتصاراته العلمية الباهرة ، كُلّف بصورة موقتة بعضوية « **لجنة التربية والتعليم** » الإدارة المركزية المكلفة بتخطيط برامج التعليم وبمراقبة الكتب الدراسية في سورية .

كان الفقيد يقوم بعمله الحكومي خير قيام ، وإلى جانب ذلك ، **كان لا يترك لنفسه ساعة فراغ ، بعد انتهاء عمله**

(٤) الرسالة التي قدمها الفقيد إلى كلية الآداب للحصول على درجة الماجستير وقد ناقشتها بتاريخ ١ / ٧ / ١٩٤٨ لجنة مؤلفة من الأستاذ أمين الخولي مشرفاً والأستاذ مصطفى السقا والأستاذ محمد خلف الله أحمد عميد كلية الآداب في الاسكندرية عضوين . ومُنح عليها الماجستير بدرجة جيد جداً .

(٥) الرسالة الأصلية التي قدمها الفقيد لنيل درجة الدكتوراه ، وقد ناقشت الرسالة بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٥١ لجنة مؤلفة من : الدكتور زكي محمد حسن رئيساً ، والأستاذ أمين الخولي مشرفاً والدكتور أحمد أمين والدكتور حسن إبراهيم والدكتور فؤاد حسنين أعضاء .

(٦) الرسالة الاضافية التي قدمها الفقيد للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد نوقشت من قبل اللجنة المذكورة آنفاً وبالتاريخ نفسه ، وانتهت المناقشة بمنحه درجة الدكتوراه بدرجة جيد جداً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرسمي ، إلا وأسهم بها في النشاط الثقافي للجمعيات والنوادي الدمشقية كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الإخوان المسلمين والنادي العربي وغيره من النوادي الثقافية .

كما كان الفقيد **يشارك في جميع المهرجانات والاحتفالات الأدبية والفكرية** كمهرجان الكواكبي ومهرجان الشاعر القروي ، إلى جانب ماكان **يرفِد به المجلات الأدبية في كل من دمشق وبيروت والقاهرة** كمجلات « الرسالة » و « الثقافة » و « الكتاب » و « الآداب » و « الأديب » و « المعرفة » و « الفكر العربي » وغيرها في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقبل نهاية سنة ١٩٥٢ عُيّن الفقيد **أستاذا مساعداً للأدب العربي القديم في كلية الآداب** ، وكان مما نشره في تلك السنة تحقيق « **مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام**[٧] » وهي « مقدمة نقدية بارعة قلّ أن نظفر في الخزانة العربية ، في باب النقد ، بمثل دقتها وتحديدها ، ولعلّها وحدها هي التي عالجت عمود الشعر ووضعت معاييره[٨] » .

فلما كانت سنة ١٩٥٦ أضحى الفقيد « **أستاذاً بلا كرسي** » في كلية الآداب . فأوفدته جامعة دمشق مبعوثا إلى ألمانيا للاطلاع خلال العام الدراسي ٥٦ ـ ٥٧ ، وهناك تابع **دراسة اللغة الألمانية** ، وكان بدأها في جامعة القاهرة ، وقد عُني خلال إقامته

(٧) نشرت أولاً في مجلة المجمع العلمي العربي مج ٢٧ ص ٧٥ سنة ١٩٥٢ .

(٨) أيد ذلك وأثنى على التحقيق العلامة الطاهر بن عاشور .

انظر المجلة المشار إليها آنفاً مج ٢٩ ص ٣٨٧ سنة ١٩٥٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ألمانيا **بدراسة المخطوطات العربية** في كل من جامعة : توبنغن وماربورغ وبرلين ، **واختار طائفة صالحة منها لمكتبة المجمع العلمي العربي .**

وكان رئيس المجمع العلمي العربي قد عهد إلى الفقيد بتحقيق « **قسم شعراء الشام** » من كتاب « **خريدة القصر وجريدة العصر** » للعماد الأصبهاني ، وقد ظهرت أجزاء هذا القسم في مطبوعات المجمع بالترتيب التالي :

أ ـ ظهر الجزء الأول سنة ١٩٥٥

ب ـ ظهر الجزء الثاني سنة ١٩٥٩

جـ ـ ظهر الجزء الثالث سنة ١٩٦٤

د ـ ظهرت بداية قسم شعراء الشام سنة ١٩٦٨ وكانت مفقودة عند الشروع في التحقيق .

ومثّل الفقيد سورية ضمن وفدها إلى « **مؤتمر الأدباء العرب** » الذي عقد في « بلودان » سنة ١٩٥٧ ، كما مثّلها في السنة نفسها في **مهرجان القاهرة لأمير الشعراء** وقد ألقى بحثا قيما بعنوان « **نثر شوقي**[٩] » وفي سنة ١٩٥٨ مثل القطر السوري في « **مؤتمر الأدباء العرب** » الذي عقد في الكويت وقد ألقى فيه بحثا عنوانه « **البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة** » .

وفي سنة ١٩٦٠ سُمّي الفقيد عضواً في المؤتمر العاشر لهيئة الدراسات

(٩) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العربي ص ٦٦ مج ٣٤ سنة ١٩٥٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربية في الجامعة الأميركية في بيروت ، وقد ألقى فيه بحثا عنوانه « **ماأسهم به المؤلفون العرب في المائة السنة الأخيرة في دراسة الأدب العربي** » .

لقد كان الفقيد من الأساتذة الناجحين ـ **على مايشهد به تلامذته** ـ كان واسع الثقافة في تاريخ الأدب ، متمكنا في المواد التي عهد إليه بتدريسها ، حلو المحاضرة ، محبوبا من الطلاب يُرحّب باسئلتهم ولا يتأخر عن استقبالهم في أي وقت شاؤوا ، بدأ عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ يُلقي على طلاب شهادة « **تاريخ العرب والإسلام** » دراسة عن تطور الغزل العربي بين الجاهلية والإسلام في القرن الأول ، ثم أغناها في السنوات التالية ببعض الفصول وطبعت كتابا سنة ١٩٥٩ في مطبوعات جامعة دمشق يحمل عنوان « **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ـ من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة** » وظهرت طبعته الثانية عام ١٩٦٤ .

وكان من إنتاجه العلمي في جامعة دمشق سنة ١٩٦٥ إصدار طبعة محققة على مخطوطتين من كتاب « **أبو العتاهية ـ أشعاره وأخباره** » ضمّ فيه نصوصاً لم تنشر من قبل ، وقد ظهر في جملة مطبوعات الجامعة .

كما أنه عكف خلال تردده على بيروت محاضراً في الجامعة اللبنانية على نشر « **ديوان النابغة الذبياني** » صنعة ابن السكيت ، ظهر سنة ١٩٦٨ محققا عن أصل فريد .

وكان المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت قد طلب من الفقيد الاشتراك في تحقيق كتاب « **الوافي بالوفيات** » لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، فحقق منه القسم الحادي عشر من الجزء السادس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

(**ثامر ـ الحسن**) وقد انتهى طبع هذا الجزء سنة ١٩٨١ .

ولم يكن شكري فيصل ليتأخر عن الاشتراك **في أي مؤتمر يدعى إليه أو أية ندوة يستطيع أن يساهم فيها ببحث أو دراسة** ، وكان من أهم المؤتمرات والندوات التي اشترك فيها ، ولم نأت على ذكرها . مايلي :

١ ـ ندوة التعريب ، التي اقيمت في ليبيا في شباط سنة ١٩٧٤ ، وكان بحثه بعنوان « **عوائق في طريق التعريب** » .

٢ ـ مؤتمر أدباء العرب ، الذي انعقد في ليبيا في أيلول سنة ١٩٧٧ ، وكان موضوعه فيه يحمل عنوان « **مشكلة اللغة العربية في الأدب المعاصر** » .

٣ ـ ندوة اتحاد المجامع العربية التي انعقدت في عمان في تشرين الأول سنة ١٩٧٨ ، وكان بحثه بعنوان « **اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلم والتعليم** » .

٤ ـ ندوة التعريب ، التي انعقدت في الخرطوم في كانون الثاني سنة ١٩٧٩ ، وكان بحثه فيها تحت عنوان « **موقع الندوة من حركة التعريب** » .

٥ ـ ندوة اتحاد المجامع العربية ، التي انعقدت في الرباط في تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ ، وكان بحثه فيها بعنوان « **تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير** » .

☆ ☆ ☆

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهنا أجد من واجبي ، وأنا أدون قصة كفاح شكري فيصل الذي استمر متواصلا مذ كان طالبا حتى آخر يوم من حياته ، **أن أسجل تفسيراً أراه وراء نزعة كامنة في نفسه . كانت مصدر حيرة لدى كثير من أصدقائه وعارفي فضله وكفاياته ، كما كانت مبعث نقد شديد وتعليل خاطئ من قبل خصومه ومنتقديه** ، إضافة إلى أنها كانت من عوامل هجوم ظالم تعرض له من قبل شانئيه وحسّاده .

كانت **فكرة الوحدة العربية قد استهوت فقيدنا** خلال دراسته الثانوية ، مما دفعه ـ وكان لا يزال طالبا في السنة الرابعة ـ إلى الانتساب إلى حزب أنشأه شباب مثقفون يؤمنون بتلك الفكرة ، وعندما فكر الحزب في اصدار صحيفة سياسية تدعو بالدعوة القومية ، **دُعي الفقيد إلى المساهمة في تحريرها وظل يحرر فيها مدة ليست بقصيرة إلى أن احتجبت** ـ على ماسنذكره في نبذة تالية ـ وعلى الرغم من عزوف الفقيد عن الصحافة السياسية مذ بدأ تحصيله الجامعي ، إلا أنها **غرست في أعماقه حبَّ عدم البعد عن أجوائها** . فلما كانت سنة ١٩٥٤ ، وكانت سورية في قلق وعدم استقرار سياسي عارم ، رأينا الفقيد يرشّح نفسه للانتخابات النيابية عن مدينة دمشق أسوة بكثير من أساتذة الجامعة ، غير أنه لم يربح إلا أصوات الواعين من المثقفين الذين أدلوا بأصواتهم ولم تكن كافية للفوز بالانتخاب ، **فلما كانت الوحدة بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨** ، رشّح الفقيد نفسه لانتخابات « **الاتحاد القومي** » فكان من الناجحين بالنيابة عن مدينة دمشق ، ولم يلبث حتى ظهر اسمه في عداد « **أعضاء مجلس الأمة** » عن القطر السوري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان الفقيد في القاهرة من أعضاء مجلس الأمة النشيطين ، وقد زار صيف عام ١٩٦١ يوغوسلافيا عضواً في وفد مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة .

كما لابد لي ـ قبل أن أختم هذه النبذة ـ من تسجيل **قلق يساورني بين حين وآخر** ، فأنا أُسائل نفسي دون أن أجزم بجواب قاطع ... هل أسأت للفقيد من حيث أردت الخير له كل الخير ... هل أخطأت من حيث أردت النصيحة مخلصاً **يوم جاء يستشيرني في قبول منصب وزاري معروض عليه ؟** . لقد كانت سورية تعيش يومئذ في دوامة خطيرة من القلق والاضطراب السياسي ، **لقد نصحته برفض الوزارة ، وشجعته كثيراً على الحزم ورفض ماعُرض عليه ...** ولم تعش الوزارة التي لم يدخلها الفقيد إلا قليلا وقد تشرد كثير من أعضائها بعد سقوطها .

وأنا أتساءل : هل أضعت على الفقيد فرصة الدخول في « **نادي الوزراء السابقين** » ؟ ، قائلا لنفسي : لعلّه لو دخل **لتفادى بعض مالاقاه من جحود وعنت !!**

☆ ☆ ☆

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٤ -

من الصحافة السياسية إلى الصحافة الأدبية(*)

كان مكتب « عنبر » **الثانوية الوحيدة في دمشق** ، وظلّ على هذه الصفة مدة نصف قرن أو يزيد ، بدءاً من أواخر القرن التاسع عشر حتى الثلاثينيات من هذا القرن الذي نعيش فيه .

وكان مكتب « عنبر » **الطريق الوحيد الذي يسلكه ابناء دمشق إذا مارغبوا في تحصيل العلم بمدارس الحكومة** ، وكان من حظّ طلابه أن تتابع على التعليم فيه نفرٌ من كبار أهل العلم والفضل دأبوا على تلقين الناشئة **حبَّ العربية ، وغرسوا في نفوسهم الاعتزاز بالعروبة** ، مما جعله موئل الحركات الوطنية والاستقلالية ، تَقِد شَرارتها بين جدرانه فلا تلبث أن **تضطرم منها دمشق بأسرها** فإذا هي كتلة من نار مستعرَّة ، ظلّ المستعمرون يكتوون بضرامها بين الفينة والفينة إلى أن اضطرتهم إلى الجلاء عن سورية .

وكان للحركات الطلابية في مكتب « عنبر » زعامةٌ تتابع عليها طلاب رزقوا موهبة الخطابة واشتهروا بالمقدرة على **إلهاب النفوس وتأجيج العواطف وتحريك الجماهير إذا مااحتشدت** ، ومن ثمّ قيادةِ المظاهرات الصاخبة خارج أسوار المكتب . بينما عُرف عن طلاب آخرين كانوا **عصبَ تلك الحركات أنهم فلاسفتُها الصامتون .**

لقد كان شكري فيصل من رواد الحركات الطلابية في مكتب « عنبر » ولكنه **كان من فلاسفتِها الصامتين .**

(*) تليت هذه النبذة والتي تليها في حفلة التأبين التي أقامها اتحاد الكتاب العرب في مساء ٣٠ من تشرين الأول ١٩٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دخل شكري فيصل مكتب « عنبر » سنة ١٩٣١ ، وكان من المجلّين في دراسته ، **ثم بدأت علائم النبوغ فيه تستلفت أنظار أساتذته وزملائه** ، فقدّره الأولون والتفّ حوله الآخرون يَنشدون سماعَ آرائه وتحليلاته وأحيانا مساعدتَه في تحبير ما يودّون تدوينهُ ، فلما كانت سنة ١٩٣٣ قرأ الناس في الصحف وانتشر بين الطلاب خبرُ اجتماعٍ عقدتْه نخبة من الشباب **كانت الأماني القومية ، التي تعتلج في نفوس جميع السوريين وطلاب مكتب « عنبر » منهم بخاصة ، متجسدة فيهم** ، وأنهم وقّعوا على وثيقةٍ بأمانيّهم ، وأعلنوا عن تأسيس حزب سياسي باسم « **عصبة العمل القومي**[١٠] » .

ثمّ فوجئ طلابُ مكتب « عنبر » بهمس يسري بينهم **مؤدّاه أن شكري فيصل قد انتسب إلى تلك « العصبة »** فكان أصدقاؤه بين مصدق ومكذب نظراً **لما عرفوه من حيائه وحبّه للهدوء** وتواريه في الزحام ابتعاداً عن الأضواء وتجنبا للصخب والضجيج .

ثم كانت سنة ١٩٣٨ فإذا بالعصبة **تصدر جريدة سياسية تحمل اسم « العمل القومي »** وقال ثقات من الطلاب : إنهم شاهدوا شكري فيصل يدخل إدارة الجريدة أو يخرج منها مراراً وأنهم تحسسوا في صفحاتها آثار قلمه ، وأكد العارفون بأساليب الكتاب ملامح أسلوب شكري فيصل يتخلل سطور الجريدة ، عندئذ أيقن أصدقاؤه **بأنه من المنتسبين حقاً إلى « عصبة العمل القومي » .**

يحدثنا **المفكر العربي الكبير أكرم زعيتر** قائلا :

---

(١٠) اجتمع المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في قرية قرنايل في لبنان وأصدر بيانه التأسيسي ونظامه بتاريخ ٢٤ من آب سنة ١٩٣٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

[.. كان إخواني وزملائي من أركان عصبة العمل القومي يُصدِرون في دمشق جريدة « العمل القومي » تتكلم بلسانهم وتدعو إلى مبادئهم ، وقد عهدوا في رآسة تحريرها إلى مجاهد يعربي ذي صلابة في وطنيته وإيثار في سجيته هو المرحوم عثمان قاسم ، وكنت أتردد على مكتبها المتواضع وأُرفِدُها بمقالات قومية ، **وألمح في زاوية فتى نحيلاً في العشرين من عمره مكباً على العمل ، يكتب ويصحح وينقح .** وسألت عنه فقيل : **إنه فتى نابغ ، ينتمي إلى العصبة** ويحمل البكالوريا ..] واسمه شكري فيصل .

ظلّ شكري فيصل يساعد رئيس تحرير جريدة « العمل القومي » ويملأ زواياها المختلفة ، وينشر تعليقاتٍ كثيرةً مستخدما الاسماء المستعارة في أكثر مايكتب ، **ومرت أيام كان فيها يستقل بتحرير الجريدة ويصححها ويدفعها إلى المطبعة بمفرده** ، إلى أن توقفت في أوائل الحرب العالمية الثانية .

واشتهر شكري فيصل **بأنه صحافي قومي ومحرر سياسي** ، حتى أنّ من تصدى لترجمة أعلام دمشق في الأربعينيات حشر اسمه مع أعلام الصحافة السورية[١١] .

لقد أفاد شكري فيصل من عمله في الصحافة السياسة **معرفة نخبة ممتازة من رجال السياسة والمفكرين من ابناء سورية والوافدين عليها .** وانشأ مع الكثير منهم صداقات ومودات كان لها أثر كبير في قابل حياته وفي الشهرة التي نالها في جميع أرجاء العالم العربي .

---

(١١) انظر مثلا كتاب « من هو في سورية » اصدار جورج فارس دمشق ١٩٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما كان لاشادة من تعرف عليهم بمواهبه **وثنائهم على تفكيره القومي السليم وأسلوبه الطليّ الممتع ، أكبر مشجع دفعه إلى ترك دمشق** ، على الرغم من ظروف الحرب المستعرة ، قاصداً القاهرة للالتحاق بكلية الآداب فيها لمواصلة **تحصيله الجامعي** .

وأمضى شكري فيصل ، بعد أن ترك الصحافة السياسية ، بضع عشرة سنة **انتسب خلالها إلى كل من جامعتي القاهرة ودمشق** ، ومضت سنون لم يكن أحد يدري خلالها محلا لاقامته ، إن كان في القاهرة أو في دمشق أو في بيروت أو فيها جميعِها ، **لقد كان يَدْرس ويُدرِّس في دمشق ، وكان يَدرُس ويؤلف وينشر في القاهرة ، كما كان يحاضر في بيروت وينشر فيها مااستطاع إلى النشر سبيلا** .

لقد انقطع شكري فيصل عن الصحافة السياسية يوم احتجبت جريدة (**العمل القومي**) بحكم الاضطرار ، وانقطع عن السياسة يوم عاد إلى دمشق ليصبح عضواً في هيئة التدريس في كلية الآداب بحكم القانون ، **غير أنه لم ينقطع عن الصحافة اليومية إذ كان يرفِد صفحاتِها الأدبيةَ كما كان يرفِد مختلف المجلات بالممتع والمفيد من البحوث والمقالات بعيداً عن الشؤون السياسية** .

وتوَّج شكري فيصل رحلته من الصحافة السياسية إلى الصحافة الأدبية بمحاضرات ألقاها في « **معهد الدراسات والبحوث العربية** » بالقاهرة يطرح فيها نظرية جديدة يراها هامة في سبيل **دراسة الأدب العربي** المعاصر ، وتأريخه[١٢] تأريخا أصدقَ تعبيراً وأصحَّ واقعية وأكثرَ

(١٢) طبعت هذه المحاضرات في كتاب يحمل اسم (الصحافة الأدبية ـ وجهة جديدة في دراسة الأدب العربي المعاصر وتأريخه ـ) القاهرة ١٩٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إحاطةً ووقوفا عند كل جزيئاته معللا كل هذا بقوله : [.. **فإذا جاء من يظن أن المجلة الأدبية جمعٌ ووعاء .. فمعنى ذلك أنه يجرد هذه المجلات من كيانها ، من مهمتها ، من روحها التي كانت لها** .. فالمجلات في الحياة الاجتماعية كائن حيّ .. يغذو ويغتذي ، ويمدّ ويستمدّ ، يفعل وينفعل ، يشاطر ويخاصم ، يصادق ويعادي ، يرى الرأي ويحارب الرأي الآخر .. كائن نشط ، يقظ ، تتعاون عليه كثرة من العقول والقلوب ، فيكون من ذلك أثره وعملُه .. **والذين ينظرون إلى هذا الكائن غيرَ هذه النظرة يهدرون هذا الكيان ، ويجرّدونه من هذه الروح اليقظة ، متجاوزين عنها ، وكأنهم يَغفُلون عن أثر التربة الأولى في النشأة والتكوين ، في التنمية والتلوين ...]** .

ثم عدد شكري فيصل مزايا المخطط الذي يدعو إليه في دراسة الأدب المعاصر وتأريخه وانتهى إلى القول :

[.. **وأخيراً فإن لهذه الدراسة وجهاً آخر محبباً** ... وجهاً من الطرافة يبدو حين نقع على نشأة هذا الأدب المعاصر وحين نلمح طفولتَه الفنية وسماتِه الأولى .. **ونرى هؤلاء الأدباء كيف كانوا وأين هم الآن** ... إننا نحسُّ حين نقلب صفحاته مثل الذي نحسّ حين نقلّب صوراً لأهلينا الأدنيين . **أو ليس من الطريف المثير .. أن نقرأ كيف كان كرد علي ينظر إلى المَدنِيّة الأوربية في المقتبس .. وكيف كان يقع على الكتاب الأجنبي فيحاول أن يعتصره ليقدّمه لقومه ، وكيف كان ينظر إلى المجتمع في مصرَ والشام** ؟ .. أليس من الطريف المثير كذلك أن نرى كيف كانت نظرة خليل مردم إلى الشعر من خلال نقده لديوان ما ، **وأن نتابع شفيق جبري في مقالاته**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودراساته ؟ أليس من الجميل أن نقع على كل هذه الأشياء التي تؤلف جزءاً من كياننا المعاصر ، والتي نحيا في خطِّ تطورها لأن حياتنا لاتزال مشدودةً إليها موصولةً الأطراف بها ؟[١٣]] .

لقد كان كتاب شكري فيصل عن « **الصحافة الأدبية** » ، مخططا حديثاً لعمل أدبي عظيم لو تمَّ ، وقد حوى وعداً منه لاتمام مابدأه عن صحافة القطر السوري الأدبية بأسرها ، **ولكن الصحافة الأدبية نفسَها كانت تستنفد من شكري فيصل كلَّ مايستطيع بذلَه من جهد يتبقى لديه بعد أن يقوم بواجباته العريضة الأخرى** ؛ لذا لم يكن لمخططه أن يتمّ ، كما لم يكن لتأريخ الصحافة الأدبية أن يظفر بجزء آخر مما وعد به الفقيد في كتابه المذكور ، **ومن هنا كانت خسارة الأدب العربي بوفاته جسيمة** قد لاتعوض .

☆ ☆ ☆

(١٣) انظر ص ١٧ من المصدر السابق ذكره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ٥ -

أسلوب الفقيد المميَّز

كان شكري فيصل **أديباً موهوباً وناقداً قويَّ العارضة بالغَ الحجة** ، وله قلم سيّال يدور بالمشكلة مع أوجهها المتباينة ، وقد لا يقطع بأمر إلا مضطراً ، **واضح التعبير سهل المفردات** ، على أنّ أفكاره قد يكتنفها شيءٌ من غموض أو اغماض على حدّ قول طه حسين وشكري فيصل نفسه .

لقد استطاع شكري فيصل ـ وكان لا يزال في أُخريات تحصيله الثانوي ـ **أن يمارس الصحافة اليومية** ، وهي التي تعيش بين فكيّ الحوادث المتلاحقة وضَرَم المطبعة ، **وكان ناجحا نجاحاً يبشر بمستقبل باهر في عالم الصحافة** . بيد أنه ـ وقد أتم تحصيله الثانوي بتفوق مرموق ـ **بَعُد عن الصحافة اليومية** ، على ولعه بها ومتابعته إياها ، بدافع من حرصه على الأسلوب الذي وجد نفسه أسيراً له ، **يجري على قلمه بلا تعب ولا نصب** .

كان شكري فيصل حريصا على نقاء أسلوبه يخاف عليه من السرعة أن تضيمه ، وإن كان لا ينتهي عادة من أكثر محاضراته ومقالاته إلا **ليلة القائها أو عشيةَ إبرادها** .

كان يدعو جميع أصحاب الأفكار الطيّبة والأبحاث القيمة **إلى تجويد أساليبهم والعناية بها** سعيا لابراز أفكارهم ونشر أبحاثهم على أكمل صورة ، وقد سجّل رأيه هذا في رسالته الجامعية قائلاً :

[.. إني أعتقد **أن العناية بالأسلوب عنايةً لا تكلّف فيها ، يجب**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن تكون أيضاً موضع اهتمامنا . فالأفكار الطيبة والنتائج القيمة والأبحاث التي استنفدت الجهدَ ؛ هذه كلها لا يجب أن تبرز للناس في ثوب مهلهل . وإذا كنا نعدو في حياتنا الماديّة الخاصة وراء كمال الذوق ودقته ، فما أحرانا أن نكون في نطاق الحياة المعنوية الذهنية **أكثر اقترابا من الكمال وسعيا وراءه**[١٤]] .

والمتتبع لما كتبه شكري فيصل ، بعد رسائله الجامعية ، يدرك **الطابع المميَّز لأسلوبه السَلِس الممتع الذي ينساب عفوا كقَرَاح الماء من عين جارية ويشع كنور الضحى في الأيام الصائفة** . وليس أدل على سلاسة أسلوب ما من التزام صاحبه به في **حالتي الاطمئنان والقلق أو في حالتي الرضا** والغضب لرأي يراه أو عقيدة يؤمن بها ، أيّ إذا ماسرّك وأمتعك على أي حال كان صاحبه .

انظروا ما كتبه شكري فيصل في الرسالة التي تقدم بها للحصول على درجة « **الدكتوراه** » ، لقد كان المشرف عليها الأستاذ أمين الخولي ، **وأمين الخولي هذا من أكابر أصحاب الدعوة الأقليمية في الأدب ، وفقيدنا كان من ألد أعداء هذه الدعوة** ، ينافح عن وحدة الأدب العربي في مختلف أقطار العرب .

يصف شكري فيصل موقف الأستاذ المشرف منه وموقفه من الأستاذ المشرف على رسالته بقوله : « ... **ووجدتني بعد ذلك أرتضي منه شيئا وأخالفه في شيء ، وأحاوره في مسألة وأجادله في غيرها ، حتى انتهى بنا الأمر إلى شيء كبير من خلاف في الرأي وتباين في الطريق ..**

(١٤) انظر ص ص من كتاب (المجتمعات الإسلامية) المصدر المذكور آنفا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصبر الأستاذ الخولي على هذا الخلاف صبر المطمئن إلى رأيه من نحوٍ والمطمئن إلى صاحبه من نحو آخر ، واصطبرت كذلك اصطبار **الواثق بنفسه والواثق بأستاذه أنه لن يَخْلُفَه** أول الخطوط التي التقيا عندها واتفقا فيها ، لأنها أول الخيوط التي تقوم عليها الحياة والتي لا تقوم حياة إلا بها ... **وذلك هو إتاحة الحرية في الرأي أبعد الحرية ، وإتاحة المخالفة في النظرة أشد المخالفة** ، والاعتماد على أن الغاية من الاشراف ليست تكرار النماذج المتماثلة ، وإنما هي **إحياء العناصر الشخصية وتنمية الفردية الذاتية** ، والبلوغ بالقوى إلى أقصى غاياتها وأبعد مراميها ...

... ولم يكن من سبيل إلى أن ألتقي مع أستاذي ... فقد كان صاحب هذه **النظرية الأقليمية يكافح لها وينافح عنها ؛ وكانت هذه الإقليمية تملأ عليه دروبه ومسالكه ، يراها وحدها في الدراسة الأدبية لا يرى معها غيرها** ... وكنت عن ذلك منصرفا ، أرى فيها وجهاً من أوجه الدراسة لا كل الدراسة وسبيلا من السبل لا كل السبل[١٥] » .

وحدثنا شكري فيصل بعدئذ عن رفع الرسالة للمناقشة ، وعن موقف أمين الخولي منها قائلا :

« .. قدمها الأستاذ المشرف **وهو مخالف لها مخالفة تقدير** ، وناقشها كذلك ، **لامدافعاً عنها ولا ملتمساً لصاحبها العذر** ، بل مخالفا ملحاً في هذه المخالفة .. **عنيفاً فيها شديد العنف** ، لايُغضي عن جزء في ذلك ولا كلّ » .

(١٥) انظر كلمة التصدير في كتاب « مناهج الدراسة الأدبية » القاهرة ١٩٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعد أن أنهى شكري فيصل سرد قصة مناقشة رسالته ، وبعد أن عرَّف نظريّته وأرّخ لها وللنظرية السائدة يومئذ عند كبار الأدباء في مصر قال :

« .. هذه هي النظريّة المدرسية بين يدي المُحْدَثين ، **تعرَّضت لهذا التشكيك الهادئ عند الأستاذ جرجي زيدان ، ولهذه الهزة العنيفة عند الدكتور طه** .. ثم تعرّضت في العِقد الثالث من هذا القرن لرجّات تختلف قوة وعنفاً مع **الأستاذ أحمد أمين والخولي** . وواجهت في كل مرحلة عاصفة وعند كلّ مؤرخ نقداً لاذعاً .. فلنتقدم إذن في هذه الدراسة خطوة جديدة ولنتساءل أين نحن من دراسة الأدب ؟ ... وكيف يجب أن تكون ؟ . ماذا نستطيع أن نفعل حين ندعُ **هذه النظرية وإلى أي نظرية ندعها** ؟[١٦] » .

ولكن كيف تأتى لشكري فيصل ، **وهذه آراؤه في إقليمية كبار أساتذته واضحة صريحة** سجلها في رسالة مرفوعة إلى بعضهم يبتغي من وراء ذلك أن يمنحوه عليها درجة علمية .. **كيف تأتى له إن ينجو ، في أقل الدرجات ، من براثن المشرف عليها ؟**

إن من يعرف أميناً الخوليّ ، **ويعرف نزعته الإقليمية وشدتها** ، وقوة شخصيته وعنفوانه .. ويعرف اعتداده بآرائه وعناده في الدفاع عنها .. أو سمع رأيه بمجمع اللغة العربية أو قرأ ماكان يكتبه من غمز ولمز بأعضائه ، **قبل أن ينضمّ إلى صفوفهم** ، يكاد لا يصدق أنّ طالبا يتحداه في آرائه ويهدمها لبنة لبنة في رسالة هو المشرف عليها ، **قد نجا من مخالبه !**

(١٦) انظر ص ٦٥ من المصدر نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكنّ شكري فيصل لم يجتز هذه التجربة المرة بنجاح فحسب ، **بل اجتازها وهو يحمل تقديراً ودرجة « جيد جداً »** فكيف تأتى له ذلك ؟ لاشك أن في الأمر سراً وراء هذا الاجتياز الموفق ، فما هو هذا السرّ ياترى ؟

لابدّ من سرّ يكمن وراء مغامرة شكري فيصل ، **وراء حُسن تخلّصه من الوَرْطة التي أوقع نفسه فيها** ، والتي قلّ أن ينجو من مثلها طالب يسعى لنيل درجة علمية .. إنّ السرّ الذي نتساءل عنه ، مردّه كلّه إلى **باب من « السحر الحلال »** ، **السحر الذي يمارسه شكري فيصل** ، وهو المتمكن من آرائه فيندفع يدافع عنها ببيانه الآسر .. **بيانه الذي يأسر ولايجرح .. والذي يهدم ولا يؤذي ..** وينشيء جديداً ولا يتبجح .. وصدق القائل : « **إن من البيان لسحراً** » .

ولكن يجدر بنا أن نتساءل : **ومن أين لشكري فيصل هذا البيان الساحر ؟** ونسرع بالاجابة قائلين : « إنه الأسلوب .. والأسلوب فقط » .

كان أسلوب شكري فيصل **يُشعّ من رسالته نوراً ، ويُفيض على دفاعه عنها طلاوة ، ويمنح سهام نقده حلاوة تطغى على ألم وخزاتها** . وعندي أن أسلوب المرء ليس بصاحبه كما قيل قديما ، **بل هو مايعرفه الناس عن صاحبه** .

كان أسلوب شكري يمثل تماماً مايعرفه الناس عنه . **فالناس لم ترَ من شكري فيصل إلا الخلق الرّضي والتهذيب الجمّ** ، كان رحمه الله خفيض الصوت ، يمشي على استحياء ، يحسن التملص إذا ماتوقّع العنف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولنتساءل مرة أخرى ، ومن أين لشكري فيصل هذا **الأسلوب الرائع المنجّي من المهالك ؟**

مما لاشك فيه أنّ شكري فيصل كان بطبعه الذي فُطر عليه ، على أتم استعداد للتسلح بأسلوبه **الذي كان سلاحه الوحيد** ، وأن التربية التي نشأ عليها والتجارب التي مرّ بها والثقافة التي تمكّن منها **قد صقلت سلاحه حتى استقام بيده** فاستخدمه أروع استخدام .

على أني أُحبّ أن لاأُغفل ذكر من إليه يعود بعض الفضل على شكري فيصل .. إن جيلنا قد انبهر وهو يفتّح عيونه في دنيا المعرفة **بعميد الأدب العربي طه حسين** يوم كان ينشر في « الرسالة » أو يخطبنا في دمشق .. كان أسلوبه يأخذ بألبابنا ويشدنا إلى متابعته شدّاً لم يكن من السهل الانفلات منه . **لقد ترسم شكري فيصل خطا طه حسين في أسلوبه الرائع وبيانه الساحر** حتى جرى مجرى الطبع فيه ، تقرأه في مؤلفاته أو مقالاته وحتى في رسائله الخاصة فلا تحسّ بشيء من التكلف أو العنت .

لقد ادّعى شكري فيصل مرة أنه سيستعير من طه حسين أسلوبه ، **وكان ماكتبه في الحقيقة أسلوبه الذاتي ، وكان فيه يضارع أسلوب طه حسين أو يماثله .**

لنقرأ شكري فيصل وهو يقدم كتاب « **تقليد وتجديد** » وهو كتاب صدر حديثا يضم مجموعة من أحاديث طه حسين لم يسبق نشرها في حياته . يقول شكري فيصل :

[.. في أسلوب الدكتور طه إذن ـ على كل الوضوح الذي يتسم به ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيءٌ من غموض أو شيء من إغماض يقصد إليه قصداً .. ولعلَ سحر الأداء عنده يصرف القارئ عن الفكرة بتفاصيلها إلى الأسلوب الذي تُعرض فيه هذه الفكرة .. فإذا هو مشدود إليها ، لا من حيث مقدماتها وتفاصيلها وبراهينها ، بل من حيث نتائجها التي انتهت إليها .. » .

وأقام الدكتور شكري الدليل على قوله هذا من كتاب الدكتور طه « **في الأدب الجاهلي** » ثم قال :

« .. هذا الوضوح الغامض أو هذا الغموض الواضح ـ **إن صحّ أن استعير أسلوب الأستاذ العميد** ـ هو بعض ما يواجه المرء في هذه الأحاديث[١٧] .. » .

☆ ☆ ☆

(١٧) انظر ص ٧ و ٨ من الكتاب ـ دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٦ -

نماذج من أسلوب الفقيد في نثره

لعلّ خير مايعين باحثا على تصوير شخصية شكري فيصل ، **العالم الأديب والناقد الأريب ، والفنان الأصيل والمصور الدقيق** ، إيراد وشل مما دونه في موضوعات متباينة بأسلوبه المميّز الفريد .

وفيما يلي مقتطفات من بحث أُعدّ ليلقى أمام نخبة من كبار العلماء والأدباء ، ومن مقدمتين أُعدّتا لتتصدرا رسالتين معروضتين على لجنة من كبار الأساتذة المرموقين للمناقشة والنقد ، ومن رسالتين بعث بهما إلى صديق يشكره في الأولى على كتاب أهداه إليه وهو ينقده نقداً هيناً ليناً ، وفي الثانية يصف له فيها مالاقاه في دربه إلى خزانة القرويين ، كتبهما غير متأن ولا متهيب ، فجاءتا عفو الخاطر لاتكلف فيهما ولااعداد ، وسنجد في هذه النماذج روح الفقيد متجلية بأسلوبه الفريد المتميز .

أولاً : نثر شوقي

دعا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة إلى اقامة مهرجان في القاهرة من ١٥ ـ ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٨ لتكريم **أمير الشعراء أحمد شوقي بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على وفاته** ، وكان شكري فيصل من المتكلمين في المهرجان ، تكلم عن (نثر شوقي[١٨]) وكان

(١٨) نشر هذا البحث في الصفحة ٦٦ من مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٤ سنة ١٩٥٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من كلامه ما يأتي :

[... أكان شوقي هذا **الذي فعل الأعاجيب في الحياة الفنية الشعرية** ، ناثراً من الناثرين الذين يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في سواهم ... ؟

أغلب الظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناثر في شيء من اليسر .. لا لأنه لم تكن له هذه القدرة على النثر المتمكن من الصنعة حتى لتكاد تكون فيه عفواً ... ولا لأن نثره لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع .. لا لشيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمرُ شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواضعات التي نطمئن إليها في العمل الفني ، والأسس التي نرتكز عليها في التقدير والتقويم ... **فنحن نحيا في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التحديد ، وإلى العفوية منه إلى التصنع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المعنى بأكثر من الانسجام مع اللفظ** ... ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءاً ، طلقاً ، كهذه الأشرعة الخفيفة التي تجري مع النيل ، لا تسمع لها صلصلة ولا جلجلة ، ولا تحس لها ضجيجاً ولا عجيجاً ، وإنما هي وسوسة ناعمة كأنما هي همس الموج إلى المجداف ، وتحية المجداف إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقدم المنطلق على صفحة الماء ...] .

وبعد تحليل وتدليل وتوضيح قال شكري فيصل :

[.. **إن شوقي أراد من السجع كما قال حلاوة الفواصل وهديل الحمام بأكثر مما أراد إلى القيد والتكلف والالتزام**] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعد أن انتصر لبشارة الخوري في رثائه شوقي على شكيب أرسلان الذي قال : « ان نثر شوقي قتل شعره » انهى شكري فيصل بحثه الممتع قائلا : [**إن نثر شوقي في منزلة الشعر .. بل إنه شعر إذا نحن التزمنا تعبيره .. إنه شعره الثاني**] .

ثانياً ـ تصدير موضوع المجتمعات الإسلامية

كان الفقيد يملك قدرة عجيبة في عرض موضوع كبير أو تلخيص مؤلف ضخم في سطور قليلة تعطي فكرة واضحة عنه ، لقد صدّر رسالته عن « المجتمعات الإسلامية » بقوله التالي عن اختيار الموضوع :

[تبدأ صلتي الرسمية بهذا الموضوع منذ أن سجّلته في الجامعة لدرجة الدكتوراه ، **غير أن صلتي الشخصية به ترجع إلى بعيد ، وترتدّ إلى الوراء حتى تبلغ الفترات الأولى التي كانت تتفتح فيها أذهاننا** ، في سنوات الدراسة ، **لتيارات الثقافة العميقة ومشكلات الحياة الكبرى** . وكنت حريصاً أشد الحرص على أن ابوّئ الحركة الإسلامية مكانها من هذه الحركات التي تمخضت عنها الإنسانية ، وأن أدرك في شيء من العمق ، دورها الضخم في قيادة الناس وأسلوبها في جمعهم على صعيد واحد من الفكر والعقيدة واللغة ، وكان هذا الحرص يزداد نمواً مع الزمن كلما سايرت مطالعاتي روحُ النقد أو سارت فيها[١٩] ..] .

ثالثاً ـ عرض موضوع كتاب حركة الفتح الإسلامي

وتحدث شكري فيصل في صدر رسالته الثانية عن « حركة الفتح

(١٩) انظر ص ك من كتاب « المجتمعات الاسلامية »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلامي » موضوع رسالته الإضافية فقال :

[.. كانت جزءاً أصيلا من العمل وتمهيداً بين يديه ، فالمجتمعات الإسلامية الناشئة ، في الأقطار المختلفة ، جاءت أثراً من آثار انسياح العرب وتدفقهم ، وهجرةُ اللغة جاءت نتيجة لهجرة أصحاب هذه اللغة ، وتطورُ الأدب كان أثراً من آثار هذه النقلة النفسية إلى هذه المهاجر والاختلاط فيها ـ وإدراكُ الشروط الحياتية التي عاشتها اللغة في هذه الأجواء الجديدة ، معناه أن ادرك قبل ذلك الشروط الحياتية الجديدة التي عاشها أفراد هذه اللغة : أصحابها أو المقبلون عليها ، الذين يتكلمونها أو الذين يتعلمونها .. وبصورة أخرى كان لابدّ **من دراسة حركة الفتح والصلات التي نجمت بين الفاتحين والسكان الأصليين ، وطبيعةِ هذه الصلات انكماشاً أو تفتّحاً ... وكيف كانت النُظُم في هذه الصلات** ، وماالذي كان يضبطها ، ودراسة كل ما يتصل بعقود الصلح ووصايا الخلفاء ، لأنها هي الصورة المعاصرة لما نسميه المعاهدات ، **ولأنها هي الصورة الرسمية للعلاقات بين الشعب الوافد المستوطن والشعوب المقيمة المتوطنة**[٢٠]] .

رابعا ـ تقريظ ونقد كتاب

كتب شكري فيصل إليّ رسالة طويلة[٢١] جاء فيها :

[الآن انجزت قراءة كتابك الأخير ، الذي تفضلت فأهديتنيه ، عن **الشيخ طاهر الجزائري وعن أعلام من مدرسته** .. ولعلّ الكلمة

(٢٠) انظر تصدير الرسالة المذكورة .

(٢١) صادرة عن دمشق بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأولى التي أحب أن اقولها أن أشكر لك حميدك هذا الذي بذلته باحثا ومنقباً ومفكراً في سيرة هؤلاء الرجال الذين **كانوا عصباً من أعصاب النهضة وروحاً من روحها ، والذين انبتتهم التربة الطاهرة لهذه المدينة الطاهرة الخالدة .**

إن عملك أعاد إلى نفسي ، وسيعيد إلى نفوس الذين يقرؤونه في هذه الفترات الكالحة من اليأس الأسود شيئاً من الثقة والأمل ... إنه علمنا من جديد **أن الكلمة الطيبة لاتموت ، وأن الجهد لايضيع ،** وإن في المجتمع قوة من قوة الله الذي لايضيع عنده شيء في الأرض ولا في السماء .

ليس هذا وحده ماأردت أن اقوله وإن كان أول ماأردت أن أقوله ... أحببت أن أقول **إن الكتاب صورة عنك في حديثك الذي لا تريده دائما مواجها** ، تريد أن تعتمد فيه على ذكاء القارئ والسامع بأكثر مما تريد أن تعطيه منه .. وفي حديثك الذي تريده انيقا مصقولا ، **وفي لهجتك الهادئة ولكنها يسمع لها الصوت أحيانا والهدر البعيد أحيانا ...**] .

خامساً : في الطريق إلى القرويين

جاء في رسالة طويلة أخرى جدّ شخصية ، كان شكري فيصل بعث بها إليّ من فاس[٢٢] ، أقتطف منها هذه المقاطع في وصف طريقه إلى القرويين :

[.. اكتب إليك هذه الكلمات من القرويين أعني من الخزانة (المكتبة)

(٢٢) وهي مؤرخة في ١٧ / ١ / ١٣٨٥ ـ ١٩ / ٥ / ١٩٦٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد سعيت إليها منذ الصباح **فأنفقت زهرة اليوم في التماس الطرق وفي تصعيد وتصويب وفي انحناء وانحدار وفي لفّ ودوران وفي مدافعة الناس والبغال والسيّاح الأجانب ...** وفي النظر إلى العاملين والذين لايعلمون .. الذين يجهدون والذين يسألون .. في مقابلة ألوان من الدكاكين الصغيرة التي لايوازيها عندنا إلا دكاكين القوافين[٢٣] ، وفي شمّ ألوان من العطور وروائح اللحوم ومناظر الخضر وأقفاص الكرز والمشمش الجديد الذي أظلّ الناس ... **وفي الاستمتاع بهذا التاريخ الذي يطلّ من كل نافذة ويتوهج في كل حجر** ويرتسم على كل حائط ويصيح ، أو كأنما يصيح ، في كل بناء .. ولم أخلص إلى الخزانة إلا بعد نصف ساعة أو أكثر من السير .. ماتركتُ شيئاً ما نظرت فيه ، **وما كان هنالك شيء في الدنيا قديم أو حديث إلا وكان في طريقي** من آلات التصوير الفخمة التي يحملها السيّاح في طريقهم إلى هذا البناء القديم أو ذاك ـ إلى البابونج الذي يباع في القفف ، يبيعه هؤلاء الفلاحون ويبيعون معه الورد (هل تذكر ورد مسرابا[٢٤]) بالكيلو ليقطره الناس .. وكذلك تجد أني ـ وأنا أتحدث إليك ـ **غنيّ بالروائح ، غنيّ بالعطور ، غني بالتاريخ ، غنيّ بالحاضر ، أما المستقبل فعلمه عند ربيّ وربك علام الغيوب ..**

وقد وصلتني رسالتك منذ أيام .. وأنا في الأسابيع الأخيرة **لا أكاد**

---

(٢٣) سوق القوافين بدمشق أحد اسواقها القديمة وهو لصيق الجامع الأموي من ناحية الغرب كانت تباع فيه الأخفاف والأحذية الخفيفة .

(٢٤) مسرابا : إحدى قرى الغوطة شمال شرقي دمشق اشتهرت بوردها يصنع منه « ماء الورد » ولفظها سرياني بمعنى « مشرب » انظر غوطة دمشق لمحمد كرد علي ط ٣ دمشق ١٩٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعرف الاستقرار .. من بلد إلى بلد .. كالعصفور الثائر الحائر الذي لايعرف ما يعمل .. ألا يعجبك تشبيه العصفور هذا .. في الحق أن هذا المخلوق الضئيل النحيل الذي يصوّت كلّ يومه وبعض ليله ويسقسق منذ الصباح ويطير من هنا إلى هناك ، **مثل رائع للخفة والطيش وعدم الاستقرار** الذي لا يكاد يجاوز غصنا إلى غصن ... ولعلّه من أروع ما وقع عليه العربي أن يقول في هجاء خصمه : جسم البغال وأحلام العصافير ... مسكينة هذه العصافير .. لأنها كذلك خلقت ...

ولا أدري لماذا انحرف بك بالحديث .. **كرهت العصافير في المدة الأخيرة من أجل هذا ومن أجل أشياء أخرى** .. ذلك أني أعيش في منطقة توشك أن تكون ريفيّة ...

سأعود بك من حيث انقطعت ... **إني في القرويين انتظر سيّد المكتبة أو مولاها ...** لا يزعجك التعبير فذلك مستعمل هنا ... مولى البقرة ومولى الدراجة ومولى المكتبة ... أشياء تعني صاحبها ...] .

☆ ☆ ☆

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ٧ -

الفقيد المجمعي

اختير فقيدنا عضواً في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١ ، واستقبل في جلسة علنية بتاريخ الأول من شباط سنة ١٩٦٢ حضرتها نخبة من أهل العلم والأدب ، **ودعاه الأمير جعفر الحسني لاحتلال المقعد الذي خلا بوفاة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك** ، مستهلا خطابه الترحيبي بقوله :

[.. وكان زميلنا الجديد المحتفى به الدكتور شكري فيصل أحد من اصطفاهم الفقيد (الرئيس خليل مردم بك) وتوقع له مستقبلاً زاهراً في رحاب الأدب ، ورأى في باكورة مؤلفاته الأمل الذي ينشده ، **فعهد إليه بعمل جليل تهيبه النابغون ، وأحجم عنه الأدباء العريقون ، وهو تحقيق كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر »** للكاتب الكبير عماد الدين الأصفهاني ، صدر الكتاب بعد جهد ونصب ، ففاز بتقدير الأساتذة أعضاء المجمع ، ونال اعجاب كبار الأدباء ، وثناء النقاد المنصفين . فقد خُدم الكتاب بطريقة دلت **على سلامة بحث محققه ، وطول باعه وسعة علمه ، وكفاءته في معالجة هذا الكتاب وتذليل صعابه** . ورفع هذا الكتاب منزلة محققه إلى مصاف **ثقات المحققين** ، وعَبَّد له الطريق **ليواكب كبار الأدباء والباحثين** . وقد أيدت مؤلفاته وأبحاثه الكثيرة **المكانة العلمية المرموقة التي توقعها له عارفوه**[٢٥] ..] .

---

(٢٥) انظر ص ٣٠٩ مج ٣٧ سنة ١٩٦٢ مجلة المجمع العلمي العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وألقى الفقيد خطابه المجمعي فكان قطعة أدبية رائعة ، وآية في الوفاء للرئيس الراحل وتحليلا دقيقا لأدبه وتقويما منصفا لشعره ، كما حوى بعض الصور التي تمثل شيئا من خلقه وصفاته .

استهل الفقيد خطابه بقوله :

[منذ نحوٍ من ثماني عشرة سنة ، حين قادتني خطاي في كثير من الحياء والتهيب إلى هذه المنصة أواجه جمهوراً من الناس في واحدة من المحاضرات التي كان يدعو إليها مجمعكم الموقر ـ **لم يكن في الذي اطمح إليه أو أفكر فيه أن تلتقي أيديكم الخيّرة السمحة** ، في ثقة وطمأنينة ، على أن تأخذ بيدي إلى هذه المنصة ذاتها ، لا لأحاضر ، وإنما لأشكر لكم ـ **بالدمعة المترقرقة لاتستهلّ ، واللسان الحييّ لايُبين ـ أنكم فكرتم بي حين فكرتم في أقدس المهمات التي تضطلعون بها** ، مهمةِ الحفاظ على اللغة ، وأنكم اشركتموني في أكرم جهاد ، **هو الجهاد في سبيل العربية** ، وأنكم احللتموني منكم هذا المحلّ الكريم الذي أقصر عنه .. **ولكني آمل أن أكون كفاءً له**[٢٦]] .

لم يكن انتخاب شكري فيصل عضواً في المجمع تتويجاً لأعماله الفكرية التي أثرت المكتبة العربية ونهاية لها ، بل كان انتخابه ـ كما وعد في خطابه المجمعي يوم استقباله ـ **حافزا له إلى زيادة نشاطه وباعثا له على مضاعفة جهوده في خدمة لغة الضاد وتراثها المجيد .**

لقد عهد المجمع إلى الفقيد بعضوية كل من لجنتي المجلة والمطبوعات ،

(٢٦) أنظر ص ٣١٤ من المصدر السابق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمخطوطات واحياء التراث ، فقام بعمله خير قيام وأشرف على اخراج مجلة المجمع اشرافا كاملا اقتضاه سهر الليالي **كي تحافظ المجلة على مستواها المرموق** .

وكان المجمع قد انتخبه سنة ١٩٧٢ **أمينا عاما له** ، فقام باعباء هذا المنصب الرفيع بما عُهد فيه من كفاية ودراية ، ولم يمنعه عن **متابعة التدريس الجامعي** في كل من جامعة دمشق والجامعة اللبنانية في بيروت أو الجامعة الأردنية في عمان .

وعهد المجمع إلى الفقيد برياسة فريق انتخبه ليقوم على تحقيق **« تاريخ مدينة دمشق للحافظ علي بن الحسن بن عساكر) . وقد تم بإشرافه وضع برنامج دقيق لاتمام تحقيق هذا الكتاب القيم** الذي جعله مجمع دمشق من أولويات مهامه في تحقيق التراث ، كما تم نشر الأجزاء التالية منه :

١ ـ جزء « **عاصم ـ عايذ** » بتحقيق الفقيد ـ سنة ١٩٧٧ .

٢ ـ جزء « **عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد** » بتحقيق الفقيد بالاشتراك مع سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي سنة ١٩٨١ .

٣ ـ جزء « **عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب** » بتحقيق الفقيد بالاشتراك مع روحية النحاس ورياض مراد سنة ١٩٨٢ .

وندب المجمع الفقيد لتمثيله في حلقة « **حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها** » التي عقدت في بغداد سنة ١٩٧٥ ، فكانت له يدّ طولى في صياغة البيان الذي انتهت إليه الحلقة ، كما كانت جهوده في نص التقرير الذي وضعته اللجنة التي دعت إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتعقد في سنة ١٩٨٠ **لوضع أسس تحقيق التراث**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربي ومناهجه[٢٧] .

وقـام الفقيـد بتمثيـل المجمـع والقطر السـوري في (**مـؤتمرات التعريب**) التي تعقدها كل أربع سنوات المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافة والعلوم . وكانت المؤتمرات **تنتخبه مقرراً عاما لها لما تعهده فيه من كفايات قلّ نظيرها** . وفي مؤتمر التعريب الثالث الذي عُقد في ليبيا سنة ١٩٧٧ ، سارع رئيس المؤتمر عقب انتهائه إلى رسالة بعث بها إلى المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يقول فيها :

[.. لايفوتني أن أعبر لكم عن امتناني الشخصي لسديد توجيهاتكم لأعمال المؤتمر **وحُسن ترشيحكم للأخ الدكتور شكري فيصل لوظيفة المقرر العام** ، وإن كان مؤتمر التعريب الثاني قد شهد للدكتور شكري **بالكفاية والجدية فإنه في هذا المؤتمر قد أجاد وأبدع** وعمل بدون كلل أو ملل بالرغم من توعك صحته في الأيام الأخيرة[٢٨]] .

وماكاد المؤتمر الرابع المنعقد سنة ١٩٨١ في طنجة بالمغرب يختتم أعماله حتى **بعث المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** رسالة إلى الدكتور شكري فيصل يقول له فيها : [..إن بلاءك وجهدك وعطاءك ، في خدمة الثقافة العربية ، في كل مجالاتها ، أمر مذكور مشكور ، يعرفه لك **أهل العلم والفضل** ، وهو تراث يضاف إلى تراث هذه الأمة ،يبقى مابقيت وبقي فكرها ولسانها ، وهما بإذن الله باقيان ومحفوظان .

---

(٢٧) طبع معهد المخطوطات العربية في الكويت هذا التقرير واعتمده ـ الكويت ١٩٨٥ .

(٢٨) من رسالة مؤرخة في ١٦ شباط ١٩٧٧ . ومما هو جدير بالتنويه أن الفقيد ألقى في المؤتمر بحثا موضوعه « التطور الاجتماعي والتطور اللغوي » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد كنتُ أكثر الناس حرصاً على حضور مؤتمر التعريب الرابع .. فلم ييسر الله لي أن أشترك معكم مع كل مابذلت من جهد .. وكان عزائي أن هناك من يقوم لهذا الأمر فيحسن القيام عليه ، **وأنت فارس ميدانه منذ بدأ هذا النشاط .**

ولقد قرأت باعجاب الوثيقة النهائية التي صدرت عن أعمال المؤتمر والتي تنم عن **القدرة والخبرة والانتماء منهجاً وتصنيفاً وعرضاً** ، فجزاك الله الخير أنت أهله .

فشكراً لك على كل مافعلت ، ولئن فاتتني هذه الفرصة ، لسوف نلتقي إن شاء الله قريباً في ساحة العمل العربي المشترك الذي يجمعنا دائما ، وإني انتهز هذه الفرصة **لأحيي عونك الممدود إلى المنظمة ، فيما تقدمه لها من أعمال مجيدة** ، نرجو أن يتسع نطاق الاستفادة منها ...

أخوك : **محيي الدين صابر**[٢٩]] .

قام الفقيد بتمثيل مجمع دمشق والقاء كلمته في حفلات التأبين التي اقيمت أحياء لذكرى الاعلام :

١ ـ محمد الفراتي
٢ ـ خير الدين الزركلي
٣ ـ محمد جميل بيهم

كما مثل المجمع في لجنة **الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري** . وقد رشحه المجمع لنيل جائزة الملك فيصل لعام ١٤٠١ عن (الأدب

(٢٩) من رسالة مؤرخة في ١٩ حزيران ١٩٨١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربي قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الأول) وكانت مؤسسة هذه الجائزة **قد اختارته محكما في قسم الأدب العربي .**

هذا وكان المجمع العلمي العراقي انتخب فقيدنا سنة ١٩٧٠ عضواً مراسلا له . كما انتخبه سنة ١٩٧٥ **المجمع الهندي العربي عضواً فيه .**

وفي سنة ١٩٨٠ انتخبه مجمع اللغة العربية الأردني عضواً مؤازراً له . كما انتخبه **مجمع اللغة العربية بالقاهرة** سنة ١٩٨٤ عضواً مراسلاً ، ودعاه إلى الاشتراك باحتفالات عيده الخمسيني .

كما دعاه اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية إلى ندوته التي عقدها في مدينة الرباط في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ ، وقد ألقى فيها بحثا قيما عنوانه (**تعريب التعليم العالي والجامعي في سورية في ربع القرن الأخير**) .

وكان آخر مانشره المجمع للفقيد **تقديمه لديوان شاعر الشام شفيق جبري** الصادر سنة ١٩٨٤ وكان التقديم دراسة وافية لأدب الشاعر وتحليلا قيماً لشعره وتقويمه تقويماً منصفاً .

وفيما يلي قائمة بما حوته **مجلة مجمع اللغة العربية** من بحوث ودراسات بقلم الفقيد الدكتور شكري فيصل :

السنة	المجلد	الصفحات	الموضوع
١٩٥٢	٢٧	٧٥ ـ ١٠٣	مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام
١٩٥٩	٣٤	٦٦ ـ ٨٧	نثر شوقي
١٩٦٢	٣٧	٣٠٩ ـ ٣٤٠	حفل استقبال الدكتور شكري فيصل
١٩٦٣	٣٨	٥٠٨ ـ ٥١٣	نقد كتاب النبوغ المغربي لعبد الله كنون
١٩٧٢	٤٧	١٥٤ ـ ١٨٩	استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي
١٩٧٢	٤٧	٣٧٩ ـ ٣٨٨	المصطلح المعرّب وتدريس العلوم بالعربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

السنة	المجلد	الصفحات	الموضوع
١٩٧٢	٤٧	٦٤٩ ـ ٦٥٧	ثغور على الخريطة اللغوية العربية
١٩٧٢	٤٧	٧٤٣ ـ ٧٧١	الاصالة والتجديد في المقال الأدبي
١٩٧٣	٤٨	١٨٢ ـ ١٨٤	تعريف بكتاب وثائق هرمة من اخبار فلسطين عام ١٩٣٠
١٩٧٣	٤٨	٢٠٧ ـ ٢٢٣	تقرير عن أعمال المجمع في سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢
١٩٧٣	٤٨	٢٧٧ ـ ٣٠٨	نشوار المحاضرة ـ خلال نصف قرن ويزيد
١٩٧٣	٤٨	٣٨١ ـ ٣٩٢	خطط الشام في طبعة جديدة
١٩٧٣	٤٨	٧٠٠ ـ ٧٠٣	حول ابن جدار
١٩٧٣	٤٨	٩١٧ ـ ٩٢٢	نقد كتاب الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية
١٩٧٤	٤٩	١٨٤ ـ ١٩٤	مؤتمر التعريب الثاني ١٩٨٣
١٩٧٤	٤٩	٩٠٨ ـ ٩١٥	نقد كتاب دلائل النظام للمعلم عبد الحميد الفراهي
١٩٧٤	٤٩	٩١٦ ـ ٩١٩	نقد كتاب كلمات وأحاديث لمحمد بهجة البيطار
١٩٧٥	٥٠	٤٣٢ ـ ٤٣٩	نقد مسرحية (فاجعة مايرلنغ) لعدنان مردم
١٩٧٥	٥٠	٨٤٣ ـ ٨٤٨	نقد كتاب (نظام الحكم في الشريعة والتاريخ) لظافر القاسمي
١٩٧٦	٥١	٦١٦ ـ ٦٢١	نقد كتاب (ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون) لعبد الرزاق الهلالي
١٩٧٦	٥١	٦٥١ ـ ٦٦٩	استقبال محمد هيثم الخياط
١٩٧٧	٥٢	١١٤ ـ ١٤١	محمد كرد علي من خلال المقتبس
١٩٧٨	٥٣	٧٤٠ ـ ٧٦٤	اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلم والتعليم
١٩٧٩	٥٤	٢٢٩ ـ ٢٣٢	ندوة اتحاد المجامع اللغوية في عمان سنة ١٩٧٨
١٩٨٠	٥٥	١٩١ ـ ٢٠٩	محمد جميل بيهم ومجمع اللغة العربية
١٩٨٠	٥٥	٤٠٦ ـ ٤١٠	فقيد المجمع شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٨ -

السمات الإنسانية

في

علاقات الفقيد الاجتماعية

كان فقيدنا شكري فيصل **إنسانا مؤمنا برّاً بوالديه يخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة ، حريصا على التماس دعائهما صباح مساء** ، لم يكن ليودعهما مرة ، إذا كان على أهبة سفر ، إلا وداع المستزيد من مرضاتهما خوف ألا يعود إلى لقائهما ، **كان برّا بأصدقائهما وبذوي قرباهما يبذل جهده في احترام كبيرهم ورعاية صغيرهم والعناية بضعيفهم .**

صدّر أول رسائله الجامعية ، التي نشرها في القاهرة ، بهذا الأهداء الرائع :

[إلى أمي
التي علمتني الصبر ، وحببت إليّ القناعة
وغالبت في غيبتي عنها الآلام والدموع
وكانت تعيش ترقب دائما أوبة الغائب
ويعرف جفناها لصورته كما تتمتم شفتاها باسمه
وتسأل عنه في خلواتها وصلواتها وأحلامها وسبحاتها
إلى أمي
التي كانت تكتم الحنو في طفولتي في دمشق
ثم كانت تفجر الحنين في فتوتي في القاهرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى أمي
وقد نذرت نفسها لي
متأبية على كل شيء ، منصرفة عن كل شيء
أهدي هذه الرسالة
ولن تكون شيئاً في جانب ما كانت تلقى
وإنما هو الاكبار والوفاء والبرّ][٣٠]

إن اهداء الفقيد رسالته الجامعية الأولى إلى أحب إنسان لديه ، إلى أمه التي غمرته بحنانها صغيراً وسهرت على تربيته حتى رأته يبلغ مبلغ الرجال ، **يفيض إنسانية ورقة شعور** ، وقد سكب فيه ما في نفسه من حبّ وتقدير وعرفان بالجميل .

لقد كان الفقيد يفكر في تسجيل عرفانه **بجميل اثنين كانا أحب الناس لديه أمه وخاله الذي في بيته درج وعلى يديه نشأ ومن علمه وخلقه استقى حتى أصبح علما يشار إليه بالبنان .**

ولكن الأجل المحتوم وافى خاله فجأة قبل أن يتم تحصيله الجامعي ، فلما أتمّه ، **كانت ذكرى خاله مازالت ماثلة في مخيلته وحبّ تسجيل عرفانه بجميله مازال قائماً في نفسه** ، فاذا به يصدّر رسالته الجامعية الثانية باهداءٍ صور فيه شعور الألم الذي استولى عليه لوفاة خاله وقصّ فضله عليه وترجم له أحلى ترجمة بجمل موجزة رائعة البيان فقال[٣١] :

---

(٣٠) انظر « مناهج الدراسة الأدبية » القاهرة ١٩٥٢ .

(٣١) انظر « المجتمعات الإسلامية » القاهرة ١٩٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

ا إلى خالي ...

الذي أراد الله أن يصطفيه إلى جواره قبل أن يملأ عينيه من ثمرة الغرسة التي انتزعها من أرضها ليزدرعها في أرض خصبة من العلم ، وفي جوّ نضر من المعرفة ، وفي دنيا مشرقة بالفضائل والمكارم .

ثم مضى يبذل لها من ذات يده ومن ذات روحه العون والنصح

ويثير فيها دفقة الحسّ ورقة النفس

وينّمي عندها إرهاف العواطف وصفاء المشاعر

ويشقّق فيها مسارب الجمال والذوق

ويعلّمها كيف تتحرر من عبودية وشهوة

ويحلّق بها على جناحين من العلم والتقوى

حتى أنزلها من ذلك كله هذه المنزلة التي تعتز بها .

إلى روح خالي ...

محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين

الذي يدين له جيل من الناس في أطراف الشام بنصاعة الشعور الديني السامي ونعمة الحياة العلمية في ضروب الثقافة الإسلامية

وجمال التعاون على الحق والخير والمعروف

أهدي هذا الكتاب ...

فهو روح من روحه وعبق من عبقه

وفاءً ببعض حقه

وإيماناً بفضله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعهدا أن أمضي في الطريق الذي بدأ حتى نلتقي في دنيا الخلود

وتعويضاً عن الحياة التي كنت أحب أن أعود إلى دمشق فأملأ منها نفسي

.. ثم عدت .. لأنثر على قبره الطاهر دموعي ..

.. وهذه الباقة من الأزهار البيضاء] .

كان شكري فيصل إنسانا رقيق الشعور مرهف الاحساس يحب الناس ويسعى إلى مصادقتهم ، ولا يدخر وسعاً في تمتين أواصر المودة والصداقة معهم ، **عظيم الوفاء لاصدقائه يشاطرهم أحزانهم ويسرع إلى تهنئتهم في أفراحهم** بنفسه ، إن كان قريباً ، وإن كان بعيداً عنهم فبالرسائل أو بالبرقيات .

كتب إليّ ، وكان على بعد آلاف الأميال ، يعزيني بفقد الوالدة قائلا :

[.. وبعدُ فقد عرفتُ من رسائل بعض الأصدقاء ماكان من أمر الله سبحانه وإرادته ، **إذ استأثر إلى جواره الكريم بالسيدة ، والدة السادة .... وزوج السيد الكبير المرحوم وبقية الصالحات القانتات العابدات من هذه الأسر الشامية الكريمة التي تتواصى بالصلاح وتتوارث المحافظة وتُشيع في جوّ دمشق أرج الخير ..** وتنسل فيمن تنسل اولئك الذين يختارهم الله من هذه البطون والأصلاب ليكونوا في مقدمة الركب دفاعا عن هذه الشريعة السمحة وحفاظاً على هذه العربية المقدسة واستمراراً نابضاً بالحياة والجهد لسنن السلف الطاهر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما من شك في عمق الخسارة وقسوة الأسى .. **ومن ذا الذي يملك ألا يجزع للموت وألا يأسى للفقد ؟** .. من الذي يملك الصبر عليه وحبس الدموع دونه ... ولكنّ الله سبحانه إنما ضمن لكم خير العزاء حين ضمن لها الجنة بما أضفى عليها من اشراق الصلاح وسكب في قلبها من نور الإيمان ، وضمن لنا مثل هذا العزاء حين جعل منها هذه الذرية الصالحة التي نسأل الله سبحانه أن يجعل منها كلهاسيرة متجددة لهذه السيرة العطرة وتخليداً .

وسيظل الموت سؤال الإنسانية الخالد يلوب على شفاهها مرّ المذاق ويطيف بأعماقها شديد اللذع وينغّص عليها ماتظن أنها تصطفي من الطيبات ... **ولكن الإسلام حين اعتقد بالحياة الآخرة ودعا إليها ورأى في الحياة الدنيا معبراً وجعل منها زاداً أحال مرارة المذاق إلى حلاوة** ولذع السؤال إلى طمأنينة الجواب وطيبات هذه الحياة سبيلا إلى طيبات الحياة الأخرى .

ولقد حملت الفقيدة من هذا الزاد إلى حياتها الأخرى أوفر نصيب .. وإن ذلك بعض عزائنا في الذي أصبنا به من فقد .

أقسى مافي الحياة فقد أب وفقد أم .. وقد يكون من أقسى مافي الحياة **أن يحاول الإنسان التصبّر على ذلك أو التعزية فيه** .. وإني لاشارككم دموعكم ... واسأل الله أن يكون لكم بالصبر والسلوان[٣٢]] .

وكتب يعزيني ، عندما بلغته **وفاة محب الدين الخطيب في**

(٣٢) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مصر ، وهو ابن عم لوالدي ، وكان مما جاء في رسالته :

[.. وبعدُ فقد غالبت شديداً من الألم وعنيفا من الحسرة قبل أن استطيع الجلوس إليك لابعث بهذه الكلمات ..

لقد سمعت ماكان من وفاة **العالم العامل المجاهد الأستاذ محب الدين الخطيب** رحمه الله وأجزل له رحمته وضاعف حسناته .

كان نبأ ضخماً .. **ولكن العالم الإسلامي لا يذكر اولئك الذين حملوا قضاياه إلى كل بيت ونافحوا عنه في كل موضوع وكانوا لسانه يوم لم يكن له لسان** ومن الذي يذكر هذه الصورة الرائعة للمسلم العربي المؤمن الصابر المرابط الذي لم تزدهه الدنيا **وقد اقبلت على الكثيرين ممن هم دونه وظلّ يقنعه أن يلقاك بالرأي وأن يلقى الآخرين بالعون وأن يحترق في طريق الآخرين دفقة نور واشعاع إيمان**[٣٣] ..]

وكتب إلي ، وقد بلغه أني عدت من **أداء فريضة الحجّ** يقول :

[.. وبعدُ فأحبّ قبل كل شيء أن أقدم لك أخلص التهنئة بحجك الذي أدّيت ، جعله الله حجّاً مبروراً ، وكتب لك المغفرة كاملة ماتقدم من ذنب وماتأخر ، وشكر لك سعيك وتقبل منك دعاءك : **ماكان منه لنفسك وماكان منه لإخوانك وماكان منه للمسلمين جميعاً ...** وقدّر لنا أن نلتقي معاً في هذا العام في حجّ مشترك .. فلم يعد أحبّ إلي من **أن استطيع هذه الفريضة كلّ عام**[٣٤]] .

وفي بطاقة من الجزائر كتب تحية يقول فيها :

---

(٣٣) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٣٩٠ .

(٣٤) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ١٨ / ٢ / ١٣٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

[ابعث اليك بهذه الكلمات وأنا على أهبة ان انجز أعمالي هنا .. أو لنقل على أهبة أن أقطعها فإن عملا ما لا يمكن ان ينجز هنا في وقت قصير أمام (روتين) ثقيل حاد .

ولقد سافرتُ قبل أن أراك .. ولعلّ ذلك **يعود إلى تأخرك في الزبداني أو لغزارة المشاغل من حولي أو لهما معاً .**

أفيد من هذه المناسبة الكريمة بداية رمضان المبارك ١٣٩١ لأبعث لك وللأسرة وللإخوان من حولك خالص التهنئة راجيا من الله **أن يفيد منه المسلمون وحدة كلمة والتقاء هدف وتراصّ بنيان وشراكة روحية عميقة ...**

أترقب في لهفة وشوق أن اتجاوز هذه الأيام **وأن أصل دمشق بسلامة الله** ، ضارعا إليه أن يجعل من مقامي خيراً وبركة وتوفيقاً .. **فقد اشتد عليّ وعلى الأهل أمر السفر ، والله الموفق**[٣٥]] .

وكتب إليّ بمناسبة ذكرى المولد النبوي يقول :

[.. وأحب كذلك بعد أن أفيد من ذكرى عيد المولد النبوي الكريم لأقدم لك وللإخوان من حولك التهنئة طيبة بهذه الذكرى العطرة .. **إنها من اروع ذكرياتنا** .. ولكنّ الذي يحسّه المرء خلال هذه الأحايين أن الذكريات لاتترك آثارها فينا .. كانت تشبّ عندنا انفعالاتنا وعواطفنا في مثل هذه الاحتفالات .. كنّا أفرادا وجماعات **نجد في مثل هذه الأيام أروع صور التجديد الداخلي النفسي الفردي والاجتماعي** .. كانت مناسبات لنستصلح كلّ مافات ونثير كلّ الذي

(٣٥) من بطاقة صادرة عن الجزائر في رمضان ١٣٩١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ركد ونجدّد كل ماقد يكون عفا .. **ولكن الذكريات في هذه الأيام شيء آخر .. عطل باهتة .. أبرز مافيها أن ينص على أنها عطل مأجورة ومراسم تبعث في النفس إلا معانيّ الرتابة والتقليد .**

ألم يكن في الوسع أن تكون مثل هذه المواقف الرائعة من جذورنا التاريخية مثاراً لكثير من الفكر والرأي ومجالاً للالتقاء والتسامح ومناسبة يُسْقط فيها الإنسان الأوراق الذابلة الصفراء والأغصان اليابسة الخشنة من جذع الحياة التي يلبسها .

ومهما يكن من شيء فقد أحستُ للاحتفال هنا بعضاً من معنى ماكنتُ أقدره .. **الجزائر وجه صلد لايُعبّر .. لا يضحك ونادراً ما يبتسم ..** لايتحدث ونادراً مايكون له هذا الصوت .. **ولكن الجزائر ـ المولد كانت شيئاً آخر .. وما أحسب أني أحسستُ البهجة في يوم عند الناس كما أحستها هذا اليوم ..** يبدو أن ذلك يحمل شيئاً من آثار الماضي .. يوم كان عيد المولد النبوي في أذهان الجماعة المسلمة هنا مظهر عناية هي ردّ على أعياد **كانت نوعا من المقاومة وصورة من صور التشبّث والإعلان عن الوجود المتميّز ..** ومابدا لي من حفاوة هذا العام إنما هو أثر من تلك الآثار[٣٦] ..] .

وكان رحمه الله اذا ماتأخرت رسائله أسرع إلى الاعتذار ، تأخر مرة فإذا به يكتب رسالة يقول فيها :

---

(٣٦) من رسالة صادرة عن الجزائر في ١٨ / ٣ / ١٣٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

[.. وبعدُ فأنا أحسّ كذلك الحاجة إلى **أن أ عتذر لك عن تأخري في الكتابة** .. والحق أني لم أجد فرص التفرغ في هذه الرحلة على نحو ماكنتُ أجد في الرحلات السابقة .. كان هنالك أمران أحدهما أن معي بعض الأولاد والأخرى **أني أجدني مدفوعاً إلى أن استمع إلى كثير وأن أتابع الكثير** : صحفا ومجلات ومحاضرات وندوات و .. مما كان لابد لي منه **كي استطيع أن اتعرف إلى هذا العالم الفسيح الغريب**[٣٧]] .

إن في هذا كله لأكبر دليل على ماحبا الله شكري فيصل من خلق عظيم ووفاء نادر في علاقاته الاجتماعية ، **وإذا كان من أخلاق العلماء الاقرار بفضل من سبقهم في العلم ، أو أفادوا منه سماعاً أو قراءة ، أو نقلوا عنه جملة أو حرفا** ، فإن شكري فيصل سجّل في مقدمات كتبه وفي هوامشها فضل كل من سبقه أو أخذ عنه أو نقل منه أو أعانه في عمله أو يسره عليه ، وزاد على كل هذا أن سجل شكره لعمال المطبعة الذين أخرجوا كتابه للناس فأحسنوا الاخراج ، **مما يدل أعظم دلالة على ما يتحلى به من خلق انساني رفيع .**

انظروا إليه وهو يقول :

[... وإذا كان وراء إخراج هذا العمل على هذا النحو في هذه الأشهر القليلة من ناسٍ **أفنوْا بياض نهارهم في سواد الحرف المشكول ودقته فاستحقوا الشكر فأولئك هم رجال المطبعة** : إدارتها وعمالها ... وإن لهم من الله على عملهم ثواب ماجهدوا وجزاء ماانتوَوْا[٣٨]] .

(٣٧) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٦٩ .

(٣٨) انظر ص ٢٠ من كتاب « ابو العتاهية » دمشق ١٩٦٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ٩ -

مشـــروع وثـيـقـة

حـقــوق الإنســـــان في الإســـلام

أسعدني الحظ أن اشتركت مع الفقيد الكبير **في لجنة عُهد إليها وضع مشروع وثيقة لحقوق الإنسان في الإسلام**[٣٩] ، فكان اسهامه كبيراً في أعمالها وخير عامل على أن يخرج مشروع اللجنة السورية كاملا ينال التقدير والثناء ممن اطلعوا عليه من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي ، والمشروع مهيئ للعرض على مؤتمر القمة الإسلامي .

كانت روح الفقيد متجلية في مقدمة المشروع وقد جاء فيها :

[... وانطلاقاً من عقيدة التوحيد الخالص التي قام عليها بناء الإسلام والتي دعت البشر كافة ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً « **أرباباً** » من دون الله ، مما أدى **إلى انتفاء عبودية الإنسان للإنسان وتعزيز حرية البشر وضمان كرامتهم .**

وتأكيداً للدور الحضاري للأمة الإسلامية وتجديداً لتاريخها وتعزيزاً لكونها أمة وسطاً تدعو إلى عالم متوازن يصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة والعلم بالإيمان ..] .

احتوى المشروع على **مائة وخمس وعشرين مادة** ، ونحن للتاريخ نسجل فيما يلي المواد الأربعة الأولى الواردة تحت عنوان :

(٣٩) كانت اللجنة مؤلفة من : د . عدنان الخطيب ود . شكري فيصل والأستاذ وهبي الزحيلي والسفير رفيق الجويجاتي والمقرر السيد إسماعيل ماجد الحزاوي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

« **الحقوق الأساسية**[٤٠] » :

المادة الأولى :

أ ـ البشر في كل أقطارهم أسرة واحدة ، مخلوقون من نفس واحدة ، **متساوون في الكرامة الإنسانية** وفي أصل التكليف والمسؤولية ، وأكرمهم عند الله أتقاهم وأنفعهم لعباده .

ب ـ **لاتمييز بين الناس** بسبب اختلاف العرق أو اللغة أو الدين أو الجنس أو العقيدة أو الانتماء السياسي أو الوضع الاجتماعي .

المادة الثانية :

أ ـ يولد الإنسان حرّاً . **ولاعبودية لغير الله تعالى** ، وليس لمخلوق أن يستعبده أو يذله أو يستغله .

ب ـ حرية الرأي والتعبير عنه بالوسائل المشروعة مصونة ، **ولكل إنسان ممارستها في حدود مبادئ الشريعة والأخلاق .**

المادة الثالثة :

أ ـ **حق الحياة مكفول بالشريعة لكل إنسان** ، وعلى الأفراد والمجتمعات والدولة حماية هذا الحق من كل اعتداء .

ب ـ **يحرم اللجوء إلى أية وسيلة تفضي لافناء النوع البشري كلياً أو جزئياً .**

جـ ـ استمرار الحياة البشرية أحد أصول الإسلام لايجوز تعطيله بمناهضة الزواج ولا الانتقاص منه بمنع الانجاب ، ولا إباحة الإجهاض لغير

---

(٤٠) نشرت نص المشروع كاملا مجلة الاحياء التي تصدرها رابطة علماء المغرب في عدد نيسان ١٩٨٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ضرورة شرعية .

د ـ لكل إنسان الحق في **أن يعيش آمنا على نفسه وأهله وسمعته الاجتماعية وماله** متحرراً من كل أنواع الخوف .

المادة الرابعة :

أ ـ التدين حق لكل إنسان ، **ولا إكراه في الدين** ، فلا يجوز حرمانه منه ، ولا ممارسة أي ضغط عليه للتخلي عنه .

ب ـ يتعين على المسلم ـ وقد اهتدى إلى الإسلام بالإيمان بوجود الله والاعتراف بوحدانيته ـ **الثبات عليه**] .

ـ ١٠ ـ

الصبر على المكاره والجحود

كان شكري فيصل ، على مايعرفه الناس منه ، **رضيَّ الخلُق جمَّ التهذيب** ، بيد أنه ، على مايعرفه ألصق الناس به ، **يجمع من المتناقضات بعضها** ، كان هادئا كصفحة المحيط ، إذا سكن الريح فلا موج ولا ضجيج ، وكان ثائراً كجوف المحيط تتصارع في أعماقه مختلف التيارات إلى أن تفنى ، **كان قويَّ الحجة ليّنَ الشكيمة ، شديداً في الحقّ ضعيفا في اللّدد** . كان كثير الصبر على المكاره ، **قادراً على اخفاء ثورته بابتسامة هي أقرب ماتكون إلى التهكم والسخرية منها إلى أي شيء آخر** ، إن ثار يوما لحقٍّ له قد اغتيل دفن ثورته في أعماق نفسه ، لا يكشف لأحد عنها اللهم إلا لصديق كتوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاقى من حسد بعض زملائه وجحود بعض تلامذته الأفانين ، لقد غمطوا من حقه الشيء الكثير ، وفضلوا عليه بعض من هم دونه فكرا ومكانة أدبية ، **حتى أدى الأمر به إلى الهجرة والبعد عن البلد الذي أحبّ** .

وكأني **بشاعر العربية الكبير بدوي الجبل** عندما رثى صديقاً له من عظماء رجال السياسة السوريين وحكى قصته مع حسّاده وشانئيه فقال :

شُغِلَ الناسُ بالعظيمِ وأَرضَوْا نزواتِ النُفوسِ هَدْماً ونقدا
حَسدُوهُ على المَزايا فكان الـ ـمَوْتُ بينَ الأهواءِ والحقّ حَدّا

كأني به يرثي شكري فيصل وكلَّ عبقريّ وعظيم ، من بني البشر لأن آفة المعاصرة **الحسد** ، وقد جُبلَ الناسُ عليه مذ خلقوا إلا من رحم ربُّك واصطفاه مع الأخيار ... كتب إليّ رسالة تفيض بالألم والأسى ، **وتصور ما يعتلج في صدره مما يلقاه من ضروب الحسد والجحود** ، كتبها مدونا فيها صدى اذاعة نبأ فوزه بجائزة دولية مرصودة لأفضل عمل أدبي ، وما صنعه أصدقاؤه وتلامذته ، حيث كان ، من مظاهر التكريم والتقدير ؛ وأردف يقول :

[... وأما عندك ـ **يعني في الشام** ـ فقد سمعتُ من قال لي عقب إذاعة النبأ : **هل هنالك اسم آخر بهذا الاسم في لبنان .. إي واللهِ ..**] والقسم قسمُه وأعقب القسم يقول : [**..ولكنها الجبلّة التي لاتنازع**[٤١] **..**] .

(٤١) من رسالة صادرة عن فاس مؤرخة في ١٤ / ١٢ / ١٩٦٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما كان شكري فيصل **كثير التفكير قبل الاقدام على عمل ما** ، فإذا أقدم كان ثابت الخطا شجاعا يقابل المكاره التي تحيط به بالصبر عليها والتجلد لها ، كتب إليّ - وكان على سفر - بعد أن قرَّ رأيه على نهج معين يسلكه ، يقول :

[.. ليكن .. **لقد أبحرنا كما يقول ديكارت .. ولاسبيل إلى التراجع ..** ويجب أن نخوض التجربة في أطول أبعادها ... وأرجو أن تكون مستمرة ...[٤٢]] .

وعندما كان شكري فيصل معاراً للتدريس في جامعة فاس ، استطاع بصداقاته المتينة السُّرى إلى الخزانة الملكية في الرِّباط ، منقباً في كنوزها من كتب التراث ، باحثا عما فيها من نوادر المخطوطات ، **وحمل إلى دمشق بعض المصورات عنها** ، وأهدى المجمع واحداً منها ، فتلقفه زميل مجمعيّ فإذا به يكتب **أنه كان قد تعب في البحث عن الكتاب من زمن قديم ومازال يبحث عنه إلى أن حمله إليه الدكتور شكري فيصل مؤخراً** ، وغضب شكري لهذا الذي كُتب ، وثار ولكن ثورته انطفأت في رسالة كتبها إليّ وجاء فيها :

[... وأزعجني ذلك كل الازعاج ... **لأن الرجل جعلني بمثابة حمّال للمصورات** ، وهو يعرف أن سبعة أجداد من أجداده وسبعة أحفاد من أحفاده لايستطيعون الظفر بالكتاب من الرباط .. وكنتُ أنا الذي فتحتُ هذا الباب .. وأنا الذي اخترت .. وأنا الذي **أنفقتُ في ذلك كل ماينفق من جهد ووقت و ...** مما لاحاجة أن أذكره[٤٣] ..] .

---

(٤٢) من رسالة صادرة عن الجزائر مؤرخة في ٢٦ / ١٢ / ١٩٦٨ .

(٤٣) من رسالة صادرة عن المغرب مؤرخة في ٢٥ / ٣ / ١٩٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد كان الأذى الذي نال الفقيد من حسّاده والمكابرين على انكار فضله إلى جانب الجحود الذي لقيه من بعض زملائه وتلامذته كبيراً ، حتى أنه أحيل على التقاعد (المعاش) بمجرد بلوغه الستين من عمره ، **خلافا للتقاليد الجامعية التي يعامل بها الأساتذة وللقانون الذي كان وشيك الصدور وفيه مدّ لخدماتهم حتى الخامسة والستين ،** كل ذلك دفعه إلى الهجرة والبعد عن دمشق بقبول ماعرضته عليه الجامعة الإسلامية من الاشراف على طلبة الدراسات العليا فيها ، فانتقل إلى المدينة المنورة ، حيث كان مقدراً له أن يدفن في ثراها إلى جوار شهداء الإسلام وأبطاله ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

ومن عجب أن يتصدى أستاذ كبير من أفاضل أصدقاء الفقيد وزملائه وهو يرثيه في « **الأهرام** » إلى سبب هجرة الفقيد إلى حيث وافاه الأجل فيقول : [.. أم أبكي فيه **الصديق الوفي لمصر** ، لقد قضى سنوات دراسته الجامعية هنا إلى أن حصل على الدكتوراه ... ولم تنقطع زياراته لمصر ، إلى أن **كانت الوحدة بين مصر وسورية ، فصار أحد النواب في مجلس الأمة** ، فانتظمت الزيارات وطال البقاء في القاهرة ، **وقد أصيب ببعض الأذى بعد الانفصال ، ولكنه لم يتخل عن ميوله المصرية** فقد صارت طبيعة فيه ، وصار أقرب مايكون إلى طباع المصريين حتى كان ذلك مادة تندر وفكاهة بينه وبين أصدقائه في القطرين ...

.ولكن « **لعنة السياسة** » أصابت منه مقتلا ، فقد عزّ عليها أن يفلت ذلك العلم الشامخ من مخالبها . فإذا كان اشتغاله بالسياسة في أثناء الوحدة عارضاً ، فإن ماأصابه من أذى الانفصال .. **كان كبيراً وقد**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

استمر حتى زهقت نفسه الكريمة فلم يتحمل قلبه ـ **الذي اتسع للعالم العربي كله** ـ ماوقع ، واضطر إلى الهجرة إلى المملكة السعودية ، حيث عمل بالجامعة الإسلامية في المدينة . وعندما اشتد به المرض بحث عن العلاج في ألمانيا ثم في سويسرا حيث حمّ القضاء[٤٤] ..] .

إن من يقرأ هذه الفقرات من رثاء الأستاذ المصري الكبير يستشف رأي مدبّجها ولعل كثيرين من أصدقائنا وإخوتنا في مصر يشاركونه رأيه معتقدين بأن اغتراب فقيدنا الدكتور شكري فيصل عن وطنه **كان بسبب ميوله المصرية وآرائه الوحدوية** ، وهذا رأي بعيد عن الصواب ، **فالعرب السوريون كلهم وحدويون وكلهم يحبّ مصر والمصريين ، ولم يكن حبّ مصر والمصريين سبّة في سورية العربية في يوم من الأيام** ، وما كانت ميول شكري فيصل الوحدوية إلا مدعاة للإشادة به ، **وعنصراً من عناصر احترامه لدى مختلف طبقات الشعب العربي في سورية .**

☆ ☆ ☆

(٤٤) من مقال نشر في الأهرام بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٨٥ تحت عنوان « الفقيد الذي رحل في صمت » بقلم الدكتور حسين نصار العميد السابق لدار العلوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ١١ -

شجون الاغتراب والحنين إلى دمشق

كانت حياة شكري فيصل **سَفَراً متواصلاً وراء العلم والمعرفة تلقياً أو عطاءً** ، فكان لايقيم في مكان واحد شهراً واحداً موصولاً ، كان في أول الأمر يحب السفر ويسعى إليه ، **ولما تقدمت به السن بدأ يتململ منه ولكن لم يحدث قط أن رفضه أو تأخر عنه** ، وهكذا مضت حياته في رحلات متواصلة ، وكثيرا ماحدث أن وافق مابين رحلة وموعد رحلة قادمة على رحلة جديدة .

كان شكري فيصل **لايُرى إلا في صعود أو هبوط في حزمٍ أو حَلّ ، في حِلّ أو ترحال** ، إن أقام في دمشق أسبوعاً فلا بدّ أن تراه يصعد سيارة متجهة نحو بيروت أو يهبط من سيارة كانت في عمان ، أو أقام في فاس فلا بدّ أن تراه يوماً متجهاً نحو مراكش أو قادماً من تطوان .. وإن أقام في الجزائر فلا بدّ أن تراه يوماً قاصداً عنّابة أو قادماً من المعسكر .. وإن أقام في القاهرة فلا بدّ أن تراه يوماً قادماً من الإسكندرية أو عائداً من أسيوط .

جاء في رسالة بعث بها إليّ من فاس ، وكان معاراً للتدريس في كلية آدابها ، قوله :

[.. تمضي حياتي هنا على النحو الذي تقدر .. عمل متصل في التدريس والاعداد .. **وتجاوز للساعات الأصلية إلى الساعات الإضافية** بنوع من الإكراه الأدبي ، ثم تجاوز مدينة فاس إلى مدينة مراكش وسفر ١٢٠٠ كم مرة كل خمسة عشر يوماً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ارتضيت ذلك بغية التعرف إلى خزانة مراكش .. فلعلّ في ذلك بعض مايُفيد[٤٥] ..] .

وكتب إليّ على ورق صغير الحجم من تونس ـ وكان في طريقه من الجزائر إلى المدينة المنورة ـ يقول :

[.. لاأحب كثيراً الكتابة على الورق الصغير ، **لأني أحسُّ أنه يحدّني** ولكن أجدني مضطراً إلى ذلك ، لأني لم أجد الآن غيره .

أكتب اليكم من تونس بعد عودتي من الجزائر ومشاركتي في الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي وموضوعه **السنة الشريفة** .

وكنت أتمنى أن أكتب لكم من قبل ، من تونس ، حيث أمضيت نحواً من عشرة أيام متعاونا مع الأليكسو .. **بعيداً عن الأهل والراحة .. ولم أكن أقدر أن السفر في رمضان له كل هذه المتاعب** ... ولكنها تجربة .. ولولا ذلك لما انجزت ـ تقريباً ـ ماكنت بسبيله .

أمضيت ليلة العيد وصباحه في الطريق إلى الجزائر وصمت ثلاثين يوماً لأني تابعت صيام الإخوة التونسيين هنا[٤٦]] .

وكتب إليّ من بلنسية في إسبانيا رسالة يصف فيها رحلته إليها مدعواً للمشاركة في ندوة حول **ابن عربي** جاء فيها[٤٧] :

[..هذه تحية متدفقة حلوة من بلنسية .. **إني أحيا في زياراتي**

(٤٥) من رسالة مؤرخة في ٢١ / ٣ / ١٩٦٦ .

(٤٦) من رسالة صادرة عن تونس بتاريخ ٣ / ٨ / ١٩٨٢ .

(٤٧) من بطاقة صادرة عن بلنسية بتاريخ ٢١ / ١٢ / ١٩٦٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

للأندلس في الماضي بأكثر مما أحيا في الحاضر وتغشاني من ذلك أزمات لاأقوى عليها .. ومع ذلك تجدني انتهز الفرص لذلك ماوسعتني الفرص .

لقد شاركت هنا في مؤتمر الندوات العربية ـ الإسبانية التي يقيمها المعهد المصري والسلطات الجامعية .. وموضوع الندوة حول **ابن عربي .. وحديثي عن واحد من أروع كتبه التي لم نعرفها حق المعرفة** وقد طبع مؤخراً في دمشق طبعه طائفة من إخوانك الذين تعرف[٤٨] .

ماأملك أن أحدثك عن **شوقي إلى دمشق** .. إني كأنما أعيش ـ في هذه الأيام هنا ـ بين رَحَوَيْن : **رحا ذكريات دمشق ورحى ذكريات ابناء دمشق في الأندلس .. وكلها طاحن عنيف**] .

وقد ألقى في الندوة بحثاً عن رسالة « **روح القدس في محاسبة النفس** » وكان بحثه من أمتع بحوث الندوة نشرته مجلة الدراسات الإسلامية في مدريد واستلت منها فصائل مستقلة .

وكتب رسالة من مهجره ـ من المدينة المنورة ـ وكان قد ضاق ذرعا بالتنقل والسفر ـ يقول فيها :

[.. والحق إن الفرق كبير جدا بين **أن تسافر مدعوا إلى مؤتمر أو مشاركا في لجنة ، وبين أن تسافر مهاجراً** إنك عند الهجرة مضطر أن تستدرك كل شيء بنفسك .. وماأكثر الأشياء .. ثم ماأضيق الوقت ..

(٤٨) الكتاب هو « رسالة روح القدس في محاسبة النفس » من تآليف محي الدين بن عربي . طبعه عزة حصرية في مطبعة العلم بدمشق سنة ١٩٨٤ عن طبعة على الحجر القاهرية ١٢٨٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ففي شرقنا العربي لاتكاد تجد للوقت قيمةً .. فإذا أضفت إلى ذلك ازدحام الناس وكثرتهم التي تملأ الشوارع والطرقات والمساجد .. وإذا اضفت الحرّ وهو لايكاد يعرف الاعتدال حتى يعود إلى شدته ، إذا اضفت هذا وذاك استبان لك مدى مايعاني الإنسان هنا ... **ودَعْ عنك التفكير في دمشق** ودَعْ عنك محاولة المواءمة مع هنا .. ثم **دَعْ عنك أنك تقتلع نفسك من جذور امتدت مايزيد على ستين عاما ثم هاأنت تحاول أن تزرعها من جديد في أرض جديدة .**

....

تمنيت لو كان لي مثل صلابتك ... إذن لبقيت في دمشق ، وما أحسب أن من الخير أن نتهافت هذا التهافت على السفر ... ولعلّها نزوات ثم تهدأ ... وظروف نسأل الله أن تنفرج عن خير شامل[٤٩] ..] .

والرسالة بعد هذا طويلة طويلة ، كلها في شجون الاغتراب وكأنها نفثة مصدور ختمها بالمقطعين التاليين :

[.. وكذلك يدرك الإنسان **قيمة الحياة في دمشق** .. غير أن أمراً ما لايصفو صفاء مطلقاً ولكل شيء ثمنه .. والحصول على الأشياء كلها يبدو وكأنه أصعب المعادلات وأعقدها ... **ومع ذلك فالإنسان يجري وراء المعادلة الصعبة وهو يعرف أنه لايملك من الأمر شيئاً ...**

صحتي تزداد وَهْناً .. وأسأل الله العافية .. وقد قرأت هذين اليومين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه من ذلك ...

(٤٩) رسالة من المدينة المنورة مؤرخة في ٤ / ١ / ١٤٠٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

فامنحنا اللهم العافية وتمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية ..] .

وجاء في رسالة من رسائله المتأخرة ، وكان قد برم بالاغتراب وتاقت نفسه إلى دمشق قوله :

[.. وقد دعيت لعمادة كلية الآداب في بلد خليجي .. ولكني آثرت جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إني شعرت بارتباط أدبي بالنسبة للطلاب الذين أُشرف عليهم .. لأن تغيير المشرف كارثة في الأصل وقد يكون هنا في مصلحة الطلاب فمن يدري ؟

على كل حال تجاوزت بفضل من الله **كل الإغراءات التي رافقت هذه الدعوة والتي ترافق هذا العمل** .. ولاأحسبني قادراً على أن استمر طويلاً في العمل **فأنا أصبحت أُوثر البيت في دمشق على كل ما تعرف من مشاكل دمشق أو مشاغلها**(٥٠) ..] .

☆ ☆ ☆

(٥٠) من رسالة صادرة عن المدينة المنورة في ١٤ / ١١ / ١٤٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ١٢ -

ضرورة

جمع آثار الفقيد ونشر المخطوط منها

لقد أغنى الفقيد المكتبة العربية **بآثار جدّ قيمة ، منها المؤلَف ومنها المحقّق** ، وقد سبق أن أشرنا إليها اضافة إلى ما كان ينشره من بحوث ومقالات في مختلف الصحف والمجلات ، الأدبية منها والمتخصصة ، وهي أجلّ من أن تُحصى في مثل هذه الترجمة الموجزة . ولابدّ للإفادة منها من جهود جبارة تبذل لجمعها وتصنيفها وإعادة نشرها في كتب تحفظها من الضياع ، وكل مانرجوه **أن تنهض لهذا العمل مجموعة من تلامذة الفقيد أو من مقدري فضله فيؤدون خدمة جليلة للعلم والأدب .**

نحن لانستطيع أن نعدّد الكتب التي يمكن جمعها من التراث العظيم الذي تركه شكري فيصل مبثوثا في مختلف المجلات الأدبية وفي ملفات المؤتمرات أو الندوات التي كان يتحدث فيها ؛ على أننا نستطيع التأكيد **بأن ماكتبه الفقيد في النقد الأدبي ، والبحوث التي كُلّف باعدادها أو ألقاها في المؤتمرات أو الندوات** ، وبخاصة مايتصل منها بتعريب التعليم والتحدي اللغوي أو بموضوع البيان النبوي أو الصحوة الإسلامية ، اضافة إلى المحاضرات أو الدروس التي سبق أن ألقاها في مختلف جامعات الوطن العربي ولم يسبق نشرها ، وهي كثيرة جداً ، إلى جانب ما كتبه أخيراً في الأدب السعودي المعاصر ، **كل هذا يشكل مجلدات ضخمة إذا قدّر له أن يجمع وينشر** ، وسيكون ثروة عظيمة للمكتبة العربية لايقدّر بثمن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـذا ولاشـك عنـدي في **أن الفقيـد قـد ترك بحـوثـا كتبهـا أو نصوصـاً حققهـا أو شرحهـا** ، وقـد وافـاه الأجل ، قبل أن تتـاح لـه فرصة نشرها ، أو قبل أن ينتهي من إعدادها للنشر ، مما يلقي على عاتق ابنائه **واجب اظهارهـا والسـعي لنشرهـا** وفـاءً لـه **واحيـاء لـذكراه العطرة وتخليداً لمآثره القيمة .**

لقد سبق لنا اعداد قائمة بما نشره الفقيد في مجلـة مجمع اللغـة العربيـة بدمشق من بحوث اسهاماً منا في تسهيل جمع آثاره ، ونضيف إليها فيما يلي قائمة بما كان **قد نشره في مجلة « المعرفة »** التي تصدرها وزارة الثقـافـة والإرشاد القومي في سورية :

العدد	التاريخ	الصفحة	عنوان البحث
١٣٦	حزيران ١٩٧٣	٧١	نحو معرفة جديدة للنقد : نافذة على النقد الجاهلي العربي
١٣٧	تموز ١٩٧٣	٤٨	قراءة جديدة لمعلقة النابغة
١٣٩	أيلول ١٩٧٣	٢٤	الاستشراق المعاصر : من الأزمة إلى تجاوزها
١٤٢	كانون الأول ١٩٧٣	١٧	الواقع والرؤية في الواقع العربي
١٥٦	شباط ١٩٧٥	٥٧	نحو حضارة عربية جديدة
١٥٧	آذار ١٩٧٥	٣٨	عوائق في طريق التعريب
١٥٨	نيسان ١٩٧٥	٧	طه حسين
١٦٤	تشرين الأول ١٩٧٥	٣١	ثقافتنا العربية بين تشرين الذي كان وتشرين الذي يكون
١٦٦	كانون الأول ١٩٧٥	١١٢	دوحة الأدب : وجه من وجوه الحركة النسائية
١٦٨	شباط ١٩٧٦	٣٢	المصطلح العلمي في حاضر اللغة العربية
١٧١	أيار ١٩٧٦	١٩٢	لماذا .. لماذا .. لماذا .. ؟
١٨٠	شباط ١٩٧٧	١٨٢	أصوات وتأملات ورؤى
١٨٣	أيار ١٩٧٧	٤	التطور الاجتماعي والتطور اللغوي
١٨٥	تموز ١٩٧٧	١٧٧	العرب المعاصرون والتاريخ العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العدد	التاريخ	الصفحة	عنوان البحث
١٨٩	تشرين الثاني ١٩٧٧	٥٤	مشكلة اللغة العربية في الأدب المعاصر
١٩٥	أيار ١٩٧٨	١١٧	خير الدين الزركلي بين الشعر والنثر
٢١٦	شباط ١٩٨٠	٥	أزمة الفكر القومي والنظرية القومية
٢١٨	نيسان ١٩٨٠	٥	شفيق جبري صفحة لم تطو

ومن أهم الآثار التي تركها شكري فيصل في النقد الأدبي ، **تلك الدراسات التي كتبها لتتصدر بعض الكتب بقصد التعريف بها أو تقديمها للقراء ، ومن روائعها دراسته للنقد الأدبي عند طه حسين** وذلك من خلال « المقدمات » التي أملاها لتتصدر طائفة من الكتب الأدبية المعاصرة المؤلَّف منها أو المترجم ، وبعض كتب التراث المحققة .

لقد أوفى شكري فيصل أستاذه طه حسين حقه من الثناء والإشادة بالطابع العظيم الذي اضفاه على تاريخ الأدب العربي ، مقرراً : « **أن هذه المقدمات تؤلف جزءاً من تراث الأستاذ العميد ، وأنها تؤلف مصدراً من مصادر دراسته والتعرف إليه واستكناه خصائص أسلوبه ..** » .

كما أوفى شكري فيصل حق النقد عليه في تلك الدراسة ، فقد غاص وراء الدوافع الذاتية عند طه حسين في جميع ماكتبه من « مقدمات » **وحلل اتجاهاته الفكرية مبيناً السليم منها والمشبوه ، مشيراً إلى مارجع فيه إلى الحق وما ظل مكابراً عليه .**

كان ذلك كله في المقدمة الضافية التي تصدرت كتاب : « **كتب ومؤلفون** » الذي اخرجته دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٨٠ وجمعت فيه ما كتبه طه حسين من « مقدمات » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما أحرى بالذين يغارون على آثار شكري فيصل من الضياع ، أن يجمعوا **المقدمات** التي كان كتبها بين دفتي كتاب ، ولعل من أهمها وأجدرها بالحفظ المقدمات التالية :

١ ـ مقدمته لديوان شاعر الشام شفيق جبري

٢ ـ مقدمته لكتاب طه حسين تقليد وتجديد

٣ ـ مقدمته لتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر

وهناك ـ **على حد علمي** ـ مقدمات كان شكري فيصل كتبها لتتصدر كتباً معينة ولكن حالت دون نشرها ظروف طارئة .

ـ ١٣ ـ

عزاء المؤسسات الثقافية العربية

كان الفقيد عضوا في اتحاد الكتاب العرب ، وقد نعاه بمجرد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فانهالت عليه وعلى مجمع اللغة العربية بدمشق البرقيات من مختلف أرجاء الوطن العربي التي **كان الفقيد يرتبط معها بأوثق الصلات الثقافية** ، وللتاريخ نسجل هنا نص ثلاث برقيات تلقاها المجمع من تونس لما فيها من تسجيل لجهود الفقيد الثقافية الدالة على المنزلة التي كان يحتلها في مختلف الأقطار العربية .

أ ـ برقية المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تلقيت بأسى وحزن نبأ وفاة المرحوم الأستاذ الدكتور شكري فيصل **أحد رموز الثقافة العربية ودعائمها** وإني إذ اتقدم باسمي وباسم المنظمة العربية بالتعاون في هذا الفقد القومي إلى سيادتكم وإلى السادة أعضاء المجمع الموقر فإني اسأل الله للفقيد العزيز الرحمة **لقاء ما أدى**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة

لوطنه ولأمته وثقافتها من خدمات جليلة ولكل أجل كتاب وإنا لله وإنا إليه راجعون .

التوقيع : د . **محيي الدين صابر**

ب ـ برقية وزير الشؤون الثقافية التونسية

في الوقت الذي كنّا نهيّئ لقدوم العلامة الكبير الأستاذ شكري فيصل عضو مجمعكم الموقر ، **وعضو المجلس العلمي للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات « بيت الحكمة » بتونس** .. وذلك لمشاركتنا الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على انبعاث مجلة « **الفكر** » ... جاءنا نعيّ الصديق العزيز **ليجمّد في افئدتنا حرارة لقاء انتظرناه بفارغ صبر** ... وليعصف بشوق طالما اختلج في أنفسنا ....

وبهذه المناسبة الأليمة اتقدّم إليكم باسمي الخاص وباسم جميع أعضاء أسرة الفكر وأصدقاء الفقيد من المثقفين بتونس بأحرّ التعازي راجياً من الله أن يتغمدّه برحمته الواسعة ويرزقنا وإياكم جميل الصبر والسلوان .

وإنا لله وإنّا إليه راجعون .

التوقيع : **البشير بن سلامة**

جـ ـ برقية رئيس المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات في تونس « بيت الحكمة »

لقد علمنا ببالغ الأسى والحسرة أن أسرة الأدب في الوطن العربي فقدت أحد أعضائها البارزين الدكتور شكري فيصل **الذي عرفناه باحثا مجتهداً وعالماً نافعاً وصديقاً وفياً** ، وقد استفادت مؤسستنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكثير من علم الفقيد ومن كريم نصحه إذ كان عضواً ناشطاً في مجلسها العلمي .

فالباري تعالى نسأل أن يتغمد بواسع رحمته المغفور له الأستاذ الدكتور شكري فيصل وأن يرزق مجمع اللغة العربية وجميع العاملين من أجل ابراز ثقافة أمتنا جميل الصبر والسلوان .

التوقيع : **د . أحمد عبد السلام**

☆ ☆ ☆

هذا وقد دعا **اتحاد الكتاب العرب** إلى حفل تأبيني كبير وإلى ندوة اشترك فيها معه كل من مجمع اللغة العربية وكلية الآداب اقيما بتاريخ ٣٠ من تشرين الأول ١٩٨٥ تحدث خلالها بعض العلماء والأدباء عن أدب الفقيد وعن خدماته الجليلة للثقافة العربية في العصر الحديث ، **وستنشر كلماتهم في كتاب مستقل .**

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وعوض العربية خيراً .

☆ ☆ ☆

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ١٤ -

مصادر ترجمت للفقيد

١ ـ « من هو » في سورية اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية ـ جورج فارس دمشق ١٩٤٩

٢ ـ « من هم » في العالم العربي اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية ـ جورج فارس دمشق ١٩٥٧

٣ ـ « عالمنا العربي » نعمة زيدان ـ بيروت ١٩٥٦

٤ ـ « من الأدب المقارن » نجيب العقيقي ط ٣ ج ٢ القاهرة ١٩٧٦

٥ ـ « الثقافة العربية » محمود موعد ليبيا أيار ١٩٧٥

٦ ـ « الموسوعة الموجزة » حسان الكاتب مج ٤ دمشق ١٩٧٩

٧ ـ « معجم المؤلفين السوريين » عبد القادر عياش ـ دار الفكر دمشق ١٩٨٥

٨ ـ « الملف المجمعي »

٩ ـ « ذكريات عدنان الخطيب ورسائل شكري فيصل إليه »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

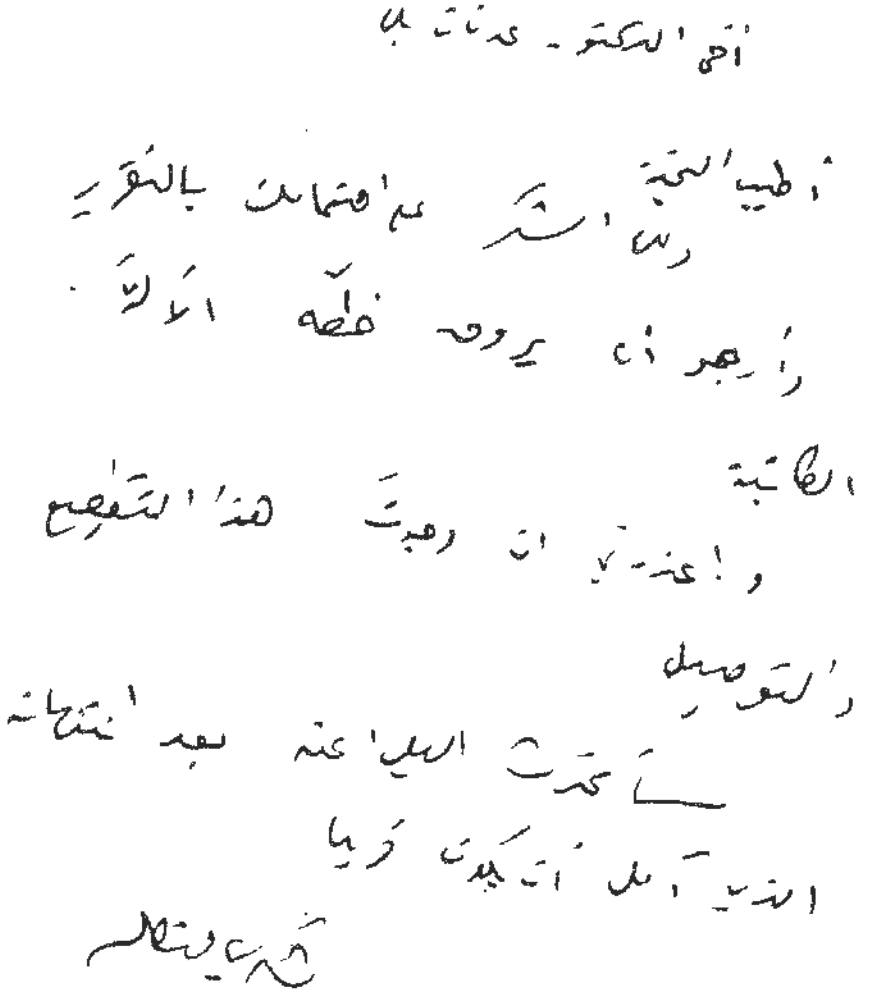

أنموذج من خط الفقيد وتوقيعه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net